الخـــطاب النسوي في كتاب الأمالي
دراسة نقديـة

د/ عبد الحميد سيف الحســـامي *

المقـــدمة

الأدب فعل الذات المبدعة ، والأديب ابن مجتمعه إلا أنه يتميز بحساسية مرهفة تجعله أكثر قدرة على التعبير عن واقعه النفسي ، وعالمه الخارجي ولا شك في أن الأديب " ليس صورة نمطية للواقع بل انزياح فني لما نعرف ونشاهد في الحياة " [1] ولم يكن الأدب يوماً من الأيام وقفاً على الرجال دون النساء فقد عرفت مسيرة الأدب العالمي – والعربي منه – أديبات لهن نتاج متميزٌ ، " والمتأمل في رحلة الزمان والمكان يقف على نماذج لا يمكن تجاهلها لنساء قويات بارزات الحجة والبيان ، إيجابيات في الحياة الخاصة والعامة ، منتجات فكرياً واقتصادياً ورحماً ، لهن نصيب في الحضارة التي لم تكن في مرحلة من مراحلها متعلقة بالذكور " [2] " فقد أسهمت المرأة في مجال السياسة والولاية والقضاء والفقه والتعليم ورواية الحديث والشعر والنثر وكل مجالات الحياة ، وما عُرف منهنّ من أعداد فليس سوى رموز بمثابة شهادات لعشرات مثلهن " [3] وإذا تأملنا المذخور الأدبي العربي فإننا نجد آثاراً أدبية نسوية وفيرة - شعراً ونثراً- حفلت بها مصادر التراث العربي ، ومن تلك المصادر كتاب الأمالي- لأبي علي القالي- ** الذي يعمد هذا البحث إلى استقراء نصوصه النسوية التي وردت مبثوثةً بلا نظام كحبات عقد منفرط ، في مواضع متفرقة من الكتاب بجزأيه وذيله ، والعمل على إبرازها في سياق منهجي

---

* أستاذ الأدب والنقد المساعد – كلية التربية – الناذرة .

** هو " أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي من أئمة اللغة المشهورين : ولد بمنازجرد من ديار بكر 288هـ ... نشأ بها ورحل منها إلى العراق لطلب العلم والتحصيل ، دخل بغداد 303هـ فاكب على الدرس، وجدّ في التحصيل على علماء الحديث ، وجهابذة اللغة والرواية ، وقرأ النحو والعربية على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونفطويه ، وابن دريد ، وابن السراج ، وابن الأنباري ، وابن قتيبة ، وغيرهم ... كان ميالاً بطبعه إلى اللغة والأدب فبرع فيها واستكثر ونبغ نبوغاً لم يكن لا حد ممن تقدمه أو تاخر عنه وعده المؤرخون إماماً ثبتاً وحجة ثقة ... كانت كتبه كما يقول الضبي : في غاية التقييد والضبط والإتقان ؛ ثم استدعاؤه إلى الأندلس بعد ان اقام ببغداد خمساً وعشرين سنة ، فذاع فيها صيته وعمت شهرته ، واستدعاه الخليفة عبد الرحمن الناصر وتم استقباله استقبالاً كبيراً من قبل ولي العهد الحكم ووزراء والده ووجوه رعيته واختصه الخليفة بتعليم ولده الحكم ، واستوطن قرطبة فاورث اهل الأندلس علمه ، كما امتاز بسعة الإطلاع في العلم والرواية وطول الباع في اللغة وفنونها واجمع المؤرخون بذكائه النادر ونبوغه الفائق وعدوه احفظ اهل زمانه ".(انظر مقدمة الأمالي لمحمد عبد الجواد الأصمعي)

من خلال قراءة متأنية ونتبع مضنٍ ، وقد شدت انتباهي وفرة تلك الخطابات التي تنيف عن ستين خطاباً في مواضع متفرقة من الأمالي - فضلاً عن تنوع هذه الخطابات بين الشعر والنثر مما حفز على تخيرها لتكون مشغلة للبحث .

ويهدف البحث إلى تحقيق جملة أهداف منها :-

أ- إبراز موقع المرأة العربية في النسيج الثقافي العربي من خلال استقراء خطاباتها في واحد من أبرز المصادر العربية وهو كتاب الأمالي لأبي علي القالي .

ب- قراءة الصورة الأخرى للمرأة العربية بوصفها امرأة إيجابية فاعلة تحقق حضوراً في الفعل الثقافي و الاجتماعي وليست متطفلة أو منفية إلى الهامش ، وتقديمها كأنموذج يسمح للمرأة العربية المعاصرة باستلهام ملامحه الإيجابية وتفعيلها في أنشطتها الحياتية المعاصرة .

ج- إبراز خصوصيات الخطاب النسوي الموضوعية والفنية في سياقاتها المختلفة.

د- تقديم قراءة جديدة لموضوع جديد في حقل النقد الأدبي والإسهام في قراءة زاوية من زوايا تراثنا الأدبي قراءة منهجية تتوسل _ ما أمكنها_ بمعطيات النقد الحديث .

ولا شك في أن البحث – على حد علم الباحث – يعد جديداً إذ لم تسبق دراسة علمية لهذا الموضوع ، بما يجعله رافداً من روافد النقد النسوي في الأدب العربي الحديث .

أما كتاب الأمالي فيعدّ من مصادر التراث العربي الأدبية واللغوية ومن أمهات كتب الأدب العربي المعدودة ، وهو "ليس أدبياً محضاً فقد غلب عنصر اللغة على كثير من جوانبه فهو أقرب ما يكون إلى الكامل للمبرد ، ومجالس ثعلب، ومادة الأمالي أمشاج من الأخبار والأشعار يتخللها شيء من تفسير القرآن وحديث الرسول وقد عني بنصوص الشعر والنثر مما يعز وجوده في كثير من الكتب " ... وهو قبل كل شيء مختارات أدبية رفيعة تمتاز في الغالب بالأصالة والقدرة وتنطوي في الوقت

نفسه على الفائدة والمتعة، ويعد هذا المؤلف في نظر ابن خلدون من أبرز وأهم أربعة كتب أدبية هي : البيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والأمالي للقالي [4].

تمهيد

التأصيل اللغوي والاصطلاحي :

أ- الخطاب :

ورد في اللسان مادة (خ ط ب) ما يأتي : " خطب الخطب : الشأن أو الأمر صغر أو عظم ، وقيل هو سبب الأمر يقال : ما خطبك ؟ أي ما أمرك الخطاب ، والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان ، الخطبة مصدر الخطيب ، وخطب الخاطب على المنبر ، واختطب يخطب خطابةً واسم الكلام الخطبة .. الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب .

الخطبة عند العرب : الكلام المنثور المسجع ونحوه ، والخطبة مثل الرسالة ، التي لها أول وآخر .. ورجل خطيب ، وفي حديث الحجاج : أمن أهل المحاشد والمخاطب ؟ أراد بالمخاطب الخُطّب : أي من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن...المخاطبة: مفاعلة من الخطاب والمشاورة .

وفصل الخطاب : أن يحكم بالبينة أو اليمين وقيل أن يفصل ويميز بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده وقيل فصل الخطاب : الفقه في القضاء "[5] .

وتتجلى من قراءة المادة المعجمية للجذر اللغوي (خطب) ما يأتي :

- الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه خطاباً ومخاطبة فالخطاب مصدر من الفعل الثلاثي المزيد بالألف (خاطب) ، و الخطاب أو المخاطبة : تداول الكلام والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة وذلك يقتضي وجود طرفين (مخاطِب) و(مخاطَب) وهذا يعززه قوله تعالى : ﴿ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ إذ فصل الخطاب الحكم بالبينة أو الفصل بين الحق والباطل وسواء أكان المعنى البينة أم الفصل بين الحق والباطل فإن ذلك يقتضي توفر القدرة على الإقناع والتأثيرمن قبل(مخاطِب) لـ،أو على(مخاطَب) .

- أن الكلام مادة الخطاب : فـ"الخطاب مراجعة الكلام " وحينما تتم عملية المراجعة بين طرفين للكلام يسمى خطاباً ، فكل خطاب كلام وليس كل كلام خطاباً .
- أن الخطبة في المعجم العربي لها حدها بوصفها " الكلام المنثور المسجوع " مثل الرسالة لها أول وآخر " وهذا التحديد يحيل إلى وضوح المفهوم الاصطلاحي للخطبة فهي " كلام " من مواصفاته أنه : منثور، مسجوع ، له أول وآخر .

كما أنها - أي الخطبة- تتميز بالتأثير وهذا ما يفهم من كلام الحجاج : أمن أهل المحاشد والمخاطب؟ فالحشد أو الاحتشاد أمر مقترن بالمخاطب " أراد الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج للاجتماع للفتن ، وهذا السياق يحمل دلالة واضحة على التأثير الذي تمتلكه " الخطبة " وقدرة الخطيب على الإقناع والتأثير. وإذا كانت المعجمية العربية تحيل إلى الخطبة بذلك الوضوح المفهومي فإنها لم تؤسس للخطاب مثل ذلك ، بيد أن التأمل في الدلالات السالفة للخطبة والخطاب يفصح عن مقومات الرؤية اللغوية العربية لمفهوم الخطاب وشروطه وبذلك يمكن القول: " إن الخطبة أو الخطابة تعدُّ الأصل المرجعي للخطاب الذي نظر إليه في الوعي البياني العربي على أنه هو الآخر فن الإقناع والتأثير بوصفه الكلام الجامع لشروط الإقناع والتأثير " [6] .

وينبغي لنا ونحن في مقام التأصيل لمصطلح الخطاب أن نفضّ شيئاً من الاشتباك الحاصل بين الخطاب وبعض المصطلحات التي تقع في دائرته الدلالية ومنها :الكلام .. والقول .. واللسان .. إذ يرى ابن جني في خصائصه (أن الكلام: هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها،والقول لا يستحق هذه الصفة..فالقول لا يتم معناه إلا بغيره)[7].

فالكلام جمل مستقلة مكتفية بذاتها ، وحينما يتصف بالتداول بين طرفين يصبح خطاباً كما أسلفنا . "وإذا كان اللسان خزان المعلومات والقواعد فإن الخطاب يتعلق بالترابطات التي تتم بين هذه العلامات بحسب القواعد التي تمليها الشفرة ، أما الكلام فهو الاستخدام الملموس لهذه التنسيقات أي أنه فعل التواصل ذاته " [8] .

فاللسان مؤسسة جمعية ، وقواعد مجردة تتمظهر في القول الذي من صفاته أنه لا يتم معناه إلا بغيره ، أما الكلام فهو جمل مستقلة بذاتها تتمظهر في أداء

الفرد للغة ، وحينما ينتقل الكلام إلى حيز التداول والتخاطب يصبح خطاباً . وإذا نظرنا إلى الخطاب في مفهومه الحديث فإننا نجد أنه قد تولد في رحم المنجز النقدي الغربي و تبوّأ موقعه في الجهاز المصطلحي النقدي مفهوماً وإجراء " فالخطاب هو ترجمة لكلمة (discourse) وأصلها اللاتيني (discoursus) وفعلها (discurure) والذي يعني الجري هنا وهناك كما أن كلمة الخطاب تعبر عن الجدل والعقل أو النظام"[9].

كما أن (discourse) الفرنسية تعني " الخطاب والكلام والحديث، ولكن الترجمة الشائعة هي الخطاب ، بحسب معجم محمد عناني الذي قدم جملةً من الاستخدامات لدى النقاد الغربيين – لهذا المصطلح النقدي [10] .

ومثل هذا الصنيع قام به سعيد يقطين في معرض تأسيسه لمفهوم الخطاب الروائي في كتابه تحليل الخطاب [11] .

ولا بأس أن نستعرض هنا عدداً من تعريفات الخطاب كما وردت في المنجز النقدي الحديث :

- يعرف بنفنست الخطاب باعتباره الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات وعمليات في التواصل [12] .
- يعرفه تودوروف بأنه : " كل ملفوظ مشترط بمتكلم ومستمع يكون غرض الأول منه التأثير على الثاني بكيفية ما " [13] - يعرفه شرودر بأنه : "الملفوظ في مقام التواصل" [14] .
- يؤكد موشلر الطبيعة الحوارية للخطاب ويسعى لإيجاد تحليل تداولي له[15] .
- يرى فوكو بأن الخطاب " لم يعد طريقة للتعبير أو حديثا متساوقاً أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة أو تجليات لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر وإنما أصبح إمكان وشرط وجود نظام أصبح حقلاً تتمفصل فيه الذوات ومجموعة علامات تجد مرتكزاً له كما يرى أنه عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها " [16] .
- يعرفه عبد الإله الصائغ بقوله : " .. أما الخطاب في مفهومه الجديد فهو النص ومحمولا ته الفكرية أو الأيدلوجية أو الجمالية بحيث لا يمكن الفصل بين المركز (النص) والأطراف (المحمولات) [17] .

- يعرفه : سعيد يقطين بأنه : "تواصل لساني منظوراً إليه كإجراء يتم بين المتكلم والمخاطب، أو كفعالية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية [18] .

- يعرفه الزواوي بغوره بأنه : " دراسة العلاقة بين الذات المتكلمة وعملية إنتاج الجمل أي المنطوقية أو علاقة الخطاب بالمجموعة الاجتماعية " [19] .

ومما سبق نجد أن مفهوم الخطاب- على الرغم مما يثيره من اللبس- [20] يتلخص في كونه تواصلاً لسانياً بين متكلم ومخاطب يكون غرض الأول منه التأثير على الثاني بكيفية ما ويتعالق مع شروط كل منهما في إطار بنية اجتماعية ثقافية .

وهذا المفهوم هو الذي نتوسل به في مقاربتنا للخطاب النسوي في كتاب الأمالي.

ب- النسوي

إذا كان " الخطاب النسوي " دالاً مركباً من مفردتين " الخطاب " و " النسوي "فإنه بعد استجلاء مفهوم "الخطاب" - القسيم الأول من عنوان البحث - يمكن أن نقف مع القسيم الثاني: "النسوي " الذي ينتمي إلى الجذر اللغوي (نسا) وهي صيغة نسب من النسوة ،والنِّسوة والنسوة بالكسر والضم ، والنساء والنِّسوان والنُّسوان : جمع امرأة من غير لفظه .. قال سيبويه في الإضافة إلى نساء : نِسوي ، فرده إلى واحده ، وتصغير نسوة : نسية ، ويقال : نسيَّات وهو تصغير الجمع " [21] أما النسوية * " فهو مصطلح ظهر" مع حركة الحداثة وما بعد الحداثة وظهر لأول مرة 1895م : ويعني به الجهد النظري والعملي الذي يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية الذي يجعل من الرجل هو المركز ... والمرأة جنساً ثانياً أو آخر في منزلةٍ أدنى " [22] .

"والمنطلق الأساسي للنسوية الحديثة (ما بعد الحداثية) هو نقد ورفض مركزية النموذج الذكوري " [23] . فالحركة النسائية حركة سياسية عنصرية ثقافية تنطلق من فلسفة نابعة من طبيعة التحولات التي هزت المجتمع الغربي ، وأعادت بناء خارطة العلاقات الاجتماعية بل دفعت بالإنسان الغربي إلى السؤال عن طبيعة مركزه في الكون واستغلت هذه الحركة فضاءات التحرر والعدل والمساواة ، وقد اتسمت

* تحدد توريل موى ثلاثة مصطلحات اساسية في هذا الباب وهي الحركة. النسائية : feminism باعتبارها موقفاً سياسياً، والأنثوية : وهي مسالة بيلوجية والنسائية او النسوية : وهي مجموعة من الخصائص التي تحددها الثقافة . (انظر:معجم المصطلحات الأدبية، ص30)

هذه الحركة بالطابع التحرري" فهي حركة تهدف إلي التحرر من الاستعمار كغيرها من الحركات التحررية" [24] .

إذ ترى أن المرأة في علاقاتها التقليدية ترتبط بالرجل في علاقة استعمارية"[25] على المستوى الاجتماعي وعلى المستوى الأدبي و يتلخص" جوهر فلسفة هذه الحركة في أن المرأة قد لقيت ظلماً في الأدب العالمي على امتداد تاريخه الطويل سواء في المجال الإبداعي أي كتابات المرأة نفسها (أو) في مجال النقد إذ لم تتح لها الفرصة للتعبير عن آرائها النقدية التي قد تكون مخالفة لوجهة نظر الرجل ، أو فيما أدى إليه الأدب والنقد من ترسيط الأوضاع القديمة للمرأة في المجتمع " [26] .

وإذا كان المصطلح النسوي قد ظهر – كما أشرنا – في 1895م فقد سبق هذا التاريخ إرهاصات عديدة منها : مؤتمر سينيكا في الأربعينات من القرن نفسه الذي مثل البداية للحركة السياسية من أجل حقوق النساء وفي ذلك العقد كتبت مارجريت فولر " النساء في القرن التاسع عشر 1945م" وشكلت حركة النساء التي بدأت في الستينات الموجة الثانية من النسوية الأمريكية وتبعتها نشاطات ومشروعات نسوية عديدة بدأت في الفترة التي سبقت الحرب الأهلية واستمرت حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد ظهرت حركة النساء ضد التميز الجنسي وسعت لإيجاد منظمات جديدة وإصدار البيانات وتقديم التشريعات الجديدة وتنظيم الاجتماعات والمظاهرات العامة ونشر الكتب [27] " فالنسوية " حركة لم تقصر نشاطها في المجال الأدبي فحسب بل في مناحي الحياة مما عكس نفسه على المجال الأدبي الذي يعد من أكثر المناشط الحياتية فعالية وأهمية .

إذ " تنظر هذه الحركة إلى أنه توجد بيولوجيا نفسية أو لغوية نسائية منفصلة تجعل الأدب النسائي ذا طابع أنثوي يمكن التعرف عليه بمعنى أن الكتابة فيها فعل للنوع ،[28] على الرغم من أن هذا يعد مثار جدل بين النقاد.

وبذلك برز إلى الحقل النقدي مصطلح الأدب النسوي " الذي يعد محاولة لبناء لغة تمثل التحرر ولا تقتصر على تنظيره " [29] كما ظهر النقد النسوي ، واتخذ العديد من النقاد النسويين خلال أواسط السبعينات منظوراً متوجهاً للمرأة يركز على

أدب النساء .. ويركز على كشف التشوهات الناجمة عن العنصرية الجنسية والأنماط الأبوية المكررة ، منتقدة الصورة الثقافية السائدة عن المرأة الناجحة والسعيدة باعتبارها البيت والأم " [30] .

"وقد ظهرت الكتب والمجلات المتخصصة والدوريات الأكاديمية، ومن الكتب- في النقد الأمريكي فحسب- :

1- الأسطورة الأنثوية ،1963م ، بيتي فريدان .
2- التفكير عند النساء 1968م ، ماري إ لمان .
3- الأخوة النسائية قوية 1970م ، مجموعة من الكاتبات من حركة تحرير النساء .
4- السياسية الجنسية ، لكيت ميلليت وإيرها .

- ومن الدوريات :

- دراسات نسائية1972م ، رسالة الدراسات النسائية 1972م ، علامات مجلة النساء والثقافة والمجتمع 1975م ، قضايا نسوية" 1980م ..... [31]

وقد تركز النقد النسوي في عدة جوانب منها :

- فحص القدرة الإبداعية والأساليب والأنواع الأدبية والموضوعات والتراث الأدبي النسائي.
- إعادة اكتشاف الكاتبات المهملات .
- إعادة خلق نسق للأعمال المعتبرة للكاتبات .[32]

وتؤشر الأعمال النقدية السابقة - وهي عبارة عن نماذج فقط - إلى تشكّل هذه الحركة وترسط جذورها في الحقل الأدبي .

وإذا كان الأدب النسوي في مفهومه الأوسع ينتظم النتاج الأدبي الذي يتخذ من المرأة موضوع انشغاله سواء أكان من قبل الرجل أم المرأة فإنه في مفهومه الخاص يركز على النتاج النسوي ، انطلاقاً من الاعتقاد بوجود فعل للنوع في العمل الأدبي يتمظهر في إبداعها ، مجسداً طابعها وخصوصية اهتماماتها الأنثوية ، والانطلاق من هذا المفهوم كان دأب كثير من الدراسات – ومنها المشار إليها سابقاً - مما ينسجم مع فلسفة النسوية التي تتغيا تعزيز موقع المرأة في بنية العلاقات الاجتماعية .

وهذا المفهوم الخاص هو ما تتبناه هذه الدراسة في مقاربتها للخطاب النسوي في كتاب الأمالي ، بمعنى أن فضاء اشتغال الدراسة سيقتصر على الخطاب النسوي الذي أنتجته المرأة العربية شعراً ونثراً دون أن تلامس أي خطابات ذكورية أو رجولية تجعل المرأة - أو موضوعاتها- محور انشغالها ، مما يجعل الدراسة أكثر خصوصيةً وتحديداً .

المبحث الأول : المخاطبة

حينما نقوم بدراسة الخطاب ينبغي أن ننظر إلى المخاطب أو المخاطبة بوصفها ركيزة من ركائز الخطاب فهي منتجة الخطاب ولذا فإن تتبع أشكالها ورؤاها يحتل أهميةً كبيرة لمقاربة الخطاب .

أ/شكل المخاطبة

تعددت أشكال المخاطبة وهي تتجز خطابها بتعدد علاقاتها الاجتماعية وأدوارها الحياتية في نسيج المجتمع ، ومن تلك الأشكال :

- المخاطبة أماً : وردت المخاطبة أماً في ثمانية خطابات هي :

نعت امرأة من العرب ابنها [33] . أم معدان الأنصارية[34] . وصية بعض نساء الأعراب لابنها وقد أراد سفراً [35] . ما وصفت به هند ابنها معاوية وهي ترقصه [36] . ما وصفت به ضباعة بنت عامر ابنها المغيرة بن سلمة وهي ترقصه[37] . ما وصفت به أم الفضل ابنها عبد الرب وهي ترقصه [38] . غنية بنت عفيف أم حاتم[39] . أم الفضل بعد قتل المأمون لابنها [40] .

فالمخاطبة في الخطاب الأول تنعت ابنها بالمحامد وفي الثالث توصيه بمكارم الأخلاق ، وفي الثاني والثامن ترثيه باكية متفجعة ، وفي الخطابات الرابع والخامس والسادس تهدهده صغيراً مرقصة إياه ، وفي السابع تخاطبه مؤكدة إصرارها على الكرم والإنفاق ، وعند تفحص تلك الخطابات نجد أنها تقدم صورة إيجابية للمرأة وهي تمارس دور الأمومة ، منسجمة مع الرؤية التي تشكلها منظومة القيم العربية الإسلامية ، ومن اللافت للنظر أن مخاطبة الأم للابن كانت طاغية على سبعة خطابات ولم تخاطب بنتها ناعتة إياها إلا في خطاب واحد ، مما يشير إلى هيمنة حضور الولد ذكراً في خارطة العلاقات الأسرية ، مقابل غياب الأنثى .

- المخاطبة أختاً : وردت المخاطبة أختاً في خمسة خطابات هي :

1- مرثية زينب بنت الطثرية في أخيها زيد [41] . 2- الخنساء وما قالته في دريد بن الصمة [42] . 3- الخنساء ترثي أخاها صخراً [43] . 4- فارعة بنت شداد ترثي أخاها[44]. 5- أم عمرو أخت ربيعة بن مكدم ترثي أخاها ربيعة [45] .

وجملة هذه الخطابات تستقطبها رؤية واحدة هي رؤية رثائية، ولا نكاد نستثني من ذلك سوى خطاب الخنساء رافضة إكراه أخيها معاوية لها على الزواج من دريد بن الصمة ، وفي الموضع نفسه تلتفت إلى ذكرى صخر وتقوم بصياغة مرثيتها فيه ، مما يكشف عن علاقة إيجابية يحفها التآلف وتغمرها مشاعر مفعمة بالوفاء من قبل الأخت حيال أخيها .

المخاطبة زوجةً :

لم تغفل الخطابات النسوية تقديم صورة المرأة زوجة وكشف أنماط علاقاتها بعالم الزوجية فقد وردت المرأة المخاطبة زوجةً في عشرة مواضع هي :-

1- ما وقع بين رجل من العرب وزوجته من الخصام [46] . 2-وصف أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق [47] . 3- ما وقع بين أبي الأسود وامرأته من المخاصمة[48] . 4- تماضر بنت مسعود بن عقبة ،وكان خرج بها زوجها إلى القفين [49] . 5- أم الضحاك المحاربية والضبابي زوجها [50] . 6- كتاب امرأة إلى زوجها وكان مع الحجاج يحضر خصامه وهي في أسوأ حال [51] . 7- أعرابية تبكي زوجها [52] . 8- امرأةً من أهل نجد وقد تزوجها رجل من أهل تهامة [53] . 9- حديث عمرو بن معد يكرب مع حبي[54] . 10- رملة بنت معاوية مراغمةً زوجها [55] .

ومن ملاحظة هذه الخطابات نجد أن الأول يقدم خصاماً ومشاتمةً والرابع يقدم شكاة زوجة زوجها إلى ولي الأمر في ولد لهما بعد أن انبتت أواصر الود ، والخامس يكشف عن تمزق عرى الزوجية واندثار حياة ظلت الزوجة في حنين غامر إليها والسادس يكشف عن عتاب قاسٍ لزوج مستهتر بحقوق الزوجية والتاسع يفصح عن موافقة زوجة على الزواج من رجل آخر بدلاً من زوجها والعاشر يكشف عن حالة توتر شديد بين زوجة وزوجها . ،أما الرابع والثامن فكلاهما يشير إلى عدم انسجام الزوجة مع البيئة الجديدة التي انتقلت إليها ، ويظل الخطابان الثاني

والسابع هما اللذان يفصحان عن علاقة إيجابية مع الزوج فأولهما تنشر فيه الزوجة ثوب الثناء لزوج حي ، وثانيهما تنشر فيه ثوب الوفاء لزوج قضى نحبه .

ويلحظ أن الطابع الغالب الذي يسم هذه العلاقات طابع سلبي يكشف عن فصام نكدٍ بين طرفي الزوجية،كما تحيل هذه الخطابات إلى استيعاب كثير من أشكال علاقة الزوجة بزوجها وفاءً ، خصاماً ، عتاباً ، طلاقاً ، مقاضاة ، .. بل وتصور طبيعة علاقة متشنجة كشفت عن سلبية الأزواج - في الغالب - في تعاملهم مع زوجاتهم ، وتشبث الزوجة وإصرارها على انتزاع استحقاقها دون توان ، مما يسوغ لنا القول بأن هذه العلاقات المتوترة التي تكشف عنها الخطابات ربما كانت ناجمة عن اقتران قسري بالزوج لم ينطلق عن قناعة نفسية ، ورغبة طبيعية ، وقد تمليه المواضعات والتقاليد الاجتماعية فيصير إلى زوال .

المخاطبة بنتاً :-

وردت خطابات المرأة بنتاً في تسعة مواضع هي :-

- حديث البنات الثلاث اللائى وصفن ما يحببن من أزواج [56] . - حديث الجواري الخمس اللائى وصفن خيل آبائهن [57] . - ما أشترطته هند على أبيها قبل أن يزوجها من أبي سفيان [58] . - حديث البنات الثلاث مع أبيهن وكان قد عضلهن [59] . - حديث همام بن مرة مع بناته الثلاث وكان قد عضلهن [60] . - سؤال بعض نساء الأعراب عن آبائهن [61] . - ما وقع بين حاتم وسفانة ا بنته [62] . - بنت أبي الرقاع الشاعر [63] . - حديث ابنة الخس مع أبيها [64] .

وحين تعمد القراءة إلى استنطاق هذه الخطابات فإنها تخلص إلى نتيجة تؤكد استقرار المخاطبة في نطاق موقعها وانسجامها معه باستثناء حالتين فقط في الخطابين الرابع والخامس إذ يظهران تمرداً من قبل المخاطبات على الآباء (المخاطَبين) ورفضاً لعملية عضلهن عن الزواج ، أما بقية الخطابات فإنها تجسد حالة من الوئام والانسجام مع المجتمع .

وتجسد مساحة الحرية التي تمارسها البنت في خطابها مع أبويها ، ولا تجد المرأة حرجاً في مكاشفة أمها فيمن تحب من أزواج ، وقد تشترط على أبيها ألا يزوجها إلا من ترتضيه وتوافق عليه سلفاً .

-المخاطبة عاشقة : استأثرت خطابات المرأة العاشقة بنصيب أوفر إذ بلغت تسعة عشر خطاباً هي خطابات :-

1- عشرقة المحاربية [65] . 2- زهراء الأعرابية [66] . 3- ليلى الأخيلية في توبة الخفاجي [67]. 4- بثينة في جميل [68] . 5- عليه بنت المهدي [69] . 6- فاخمة بنت الأحجم الخزاعية [70] . 7- أم خالد الخثعمية في جحوش العقيلي [71] . 8- امرأة من العرب تسمى شقراء [72] . 9- امرأة من بني نصر بن دهمان [73] . 10- امرأة من بني أسد [74] . 11- فتى من بني عجلان مع ابنة عم له [75] . 12- خلبية الخضرية تهوى ابن عم لها [76] . 13- أم ضيغم البلوية [77] 14- زينب بنت فروة المريّة في ابن عمها المغيرة [78] . 15- شعر عجوز فصيحة [79] . 16- أم العلاء [80]. 17- أنشدنا أبو هفان عن إسحاق لامرأة ... [81] . 18- قال أبو العيناء تعشقتني امرأة قبل أن تراني [82] . 19- بنان وفضل الشاعرة [83] .

تضافرت هذه الخطابات في رسم لوحة نفسية لأعماق المرأة وكشفت عن المحجوب من تفاصيلها والمحجب من مشاعرها ،وهي في جملتها تتسم بنقاوة بريئة وتتلفع بعذرية ضافية ، فالتعبير عن الحب لم يقتصر على الشعراء فحسب بل إن الأدبيات يقدمن خطاباً عاشقاً يخترق أسوار التقاليد ، ويحطم الموانع ، بل إن القمع الاجتماعي يزيد العاشقة تشبثاً بموقفها فتسكب في خطابها مشاعر محترقة على مواقد البوح، ولم يكن الخطاب العاشق مقتصراً على الشابات بل إن عشرقة المحاربية وهي (حيزبون) أي فيها بقية من شباب تعبر عن الحب وأسراره ناهيك عنها عجوزاً ، فالغزل كما يقول ابن قتيبة " ليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام [84] " .

ومن الملحوظ أن صاحب الأمالي قد قدم هذه الخطابات مقرونة بأسماء صاحباتها : عشرقة المحاربية، ليلى الأخيلية، علية بنت المهدي، فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ... مما يدل على شهرة هذه الخطابات ، ومشروعية تناقلها وروايتها بل وتضمنها أملياته، وقد تكشف عن نزعة استمتاع الجمهور بتداول هذه الخطابات تحقيقاً لمتعة، وتنفيساً عن شهوة .

-المخاطبة جارية :-

وردت خطابات المرأةِ جارية في عدة خطابات هي : -

1- حديث النسوة اللاتي أشرن على بنت الملك بالتزوج[85]. 2- ما وقع بين المأمون والجارية بحضرة الرشيد[86]. 3- حديث الجارية التي اشتراها أبو السمراء[87].4- حديث حبشية [88] .

وهي تشير إلى طبيعة النظام الاجتماعي العربي الذي كان فيه الرق من الأنظمة الاجتماعية السائدة ، كما تقدم الخطابات مساحة هامشية للمرأة جارية بجيل إلى هامشية الدور الواقعي لها ، وكل خطاباتها تؤشر إلى أنها مستهلكة (بفتح اللام) جهداً (جواري الملكة) وجسداً (جارية المأمون والحبشية)، وبياناً (الجارية التي اشتراها أبو السمراء) .

المخاطبة كاهنة :-

كان حضورها يتيماً في موضع واحد " حديث زبراء الكاهنة [89] .

وهذا يعكس موقف الإسلام من الكهانة الذي يؤسس الموقف الخاص للمؤلف(القالي) ...

-المخاطبة ملكة :

وردت في موضع واحد هو"حديث النسوة اللاتي أشرن على بنت الملك بالتزوج[90].

وهو حضور يتيم أيضاً يشير إلى غياب دور المرأة العربية أو ندرته في ولاية مقاليد الحكم .

-المخاطبة معارضة: وردت المخاطبة معارضة سياسية في بلاط السلطان في موضع واحد هو :- حديث الشجاء الخارجية مع زياد بن أبيه [91] .

مما يدل على ندرة المرأة في ميدان المعارضة السياسة .

- المخاطبة مجهولة الدور :

إذا كانت في الخطابات السابقة قد عينت دوراً معيناً أنيط بالمرأة فإن هناك خطابات لم تقدم موقعاً معيناً للمرأة بل هي امرأة مجهولة بيد أن خطاباتها تجسد مواقف إيجابية مع مخاطبيها وهي :

- رجل من أهل الشام مع امرأة من كلب [92] . - حديث الأصمعي مع امرأة ثكلى[93].

- حديث المرأة التي سكنت البادية [94] . - نساء مع عمر بن أبي ربيعة [95] . -

حديث عمارة مع مولاةٍ من بني الحجاج [96] . - جواب ابنة الخس لمن سألها [97] . - حديث الأصمعي مع امرأة من ولد ابن هرمة [98] . - حديث الأصمعي مع بعض الجواري [99] . - خبر الخليل مع امرأة من فصحاء العرب وبناتها [100] .

ومن استعراض شكل المخاطبة تبين تنوع وتعدد أشكالها مما يجعل خطاباتها مخصبة بطبيعة الأدوار الاجتماعية التي تشغلها وهي أدوار تستوعب خارطة العلاقات الاجتماعية ،وتكشف عن بنيتها في مرحلة تلك التفوهات النصية.

ب- رؤية المخاطب:

مادام الخطاب فعلاً تواصلياً فإن زاوية المخاطِب تكتسب أهمية كبيرة بوصف المخاطب منتجاً لهذا الخطاب بدرجةٍ أساس ، وحينما يباشر عملية إنتاج الخطاب فإنه بالتأكيد ينطلق من رؤية خاصة به تقوم بدور المتحكم في توجيه الخطاب وتحديد صياغته" فكل تعبير هو تعبير عن موقع ... إنه موقع يقول والقول علاقة والعلاقة تنظر باتجاه موضوع وتوجه إلى مخاطب . . . فالكلام مخاطبة وتوجه ،وإصغاء . . إنه علاقة " [101] .

وحينما نخضع الخطاب النسوي في الأمالي للفحص النقدي تتكشف الرؤية التي تكمن خلف الخطاب وهي رؤية أو رؤى يمكن أن نلم شعثها في شعبتين :

1- الرؤية المنتمية إلى الذات : ويعنى بها الرؤية المعبرة عن ذات المخاطب المنطلق من قناعا ته هو وليست مفروضة عليه من الآخر فهي رؤية يتملكها المخاطب ، وتعبر عن هويته ، وهذه الرؤية تنسرب في مجموعة من نصوص الخطاب النسوي في الأمالي ومنها :

خطاب الشجاء الخارجية لزياد بن أبيه حينما سألها : ما تقولين في أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه ؟ قالت : ماذا أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه ! فقال بعض جلسائه : أيها الأمير ، أحرقها بالنار، وقال بعضهم اقطع يديها ورجليها وقال بعضهم : اسمل عينيها ، فضحكت حتى استلقت وقالت ، عليكم لعنة الله : فقال لها زياد مم تضحكين ؟ قالت : كان جلساء فرعون خيراً من هؤلاء قال لها ولم ؟ قال استشارهم في موسى فقالوا أرجه ، وهؤلاء يقولون أقطع يديها ورجليها واقتلها ، فضحك منها وخلى سبيلها [102] .

فالشجاء الخارجية جيء بها بمعنى أنها مطلوبة من قبل السلطة السياسية الأموية ، لكن خطابها وهي تواجه السلطة مباشرة - أتسم بأنه :

خطاب منطلق من رؤيةٍ ذات استقلالية ترفض الاستسلام والإذعان ، بل المهادنة - على أقل تقدير رؤية منتمية إلى ذات المخاطبة وإن كانت هي الرؤية التي تشكل فكر الخوارج عموماً ، بيد أنها أصبحت رؤية ذاتية للشجاء وتحتل منها مكانة المعتقد وتشكل صيغة الخطاب فقد كانت الشجاء ثابتة راسخة تعلم أنها يمكن أن تعرض نفسها للخطر ، لكنها تخاطب بثقة بل بسخرية لاذعة ولو لم يكن موقفها منسجماً مع رؤية عميقة شكلت قناعتها لما أمكنها أن تمارس خطابها على هذه الشاكلة فالرؤية يمكن أن توصف بأنها :

- ذاتية تلقائية وليست مفروضة ، متحررة وليست مقيدة ، إيجابية وليست سلبية: إذ أرغمت الخصم المخاطب ـ على سلطته وسطوته ـ أن يستسلم لخطابها " فخلى سبيلها " رؤية منفتحة على تجارب التحرر التاريخية وتمتلك رصيداً معرفياً في ذاكرتها ، من خلال اقتناصها لمشهد من مشاهد حوار سيدنا موسى مع فرعون وعقد مقارنة بين المشهد التاريخي والمشهد الذي تعيش تفاصيله .

- مهيمنة على فضاء الخطاب، إذ كان صوتها هو الأقوى في مسرح الأحداث على الرغم من أنها مستجوَبة .

- رؤية متجاوزة لمواضعات المرأة العربية في ميدان الممارسة السياسية.

وتتعزز الرؤية المنتمية إلى الذات بخطاب آخر هو خطاب زوج أبي الأسود الدؤلي وما وقع بينها وبينه من الخصام في ولد لهما في حضرة زياد نفسه إذ تقول :

" أصلح الله الأمير، هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري فناءه وثديي سقاءه أكلؤه إذا نام وأحفظه إذا قام ولم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى إذا استوفى فصاله وكملت خصاله واستوكعت أوصاله وأملت نفعه و رجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهاً فآدني أيها الأمير " [103]...

وهذا الخطاب تنطلق فيه زوج أبي الأسود من رؤية ذاتية تؤمن بالاستحقاق ، وعدم التنازل والانصياع لمطالب زوجها - في الاستحواذ بولدها كرهاً مما حدا بها لأن تدافع عن حقها أمام الأمير وتستنجد به مراعية المقام متدرجة في الخطاب ، متوسلة

بسلطة الخطاب ، ولحن الحجة ، وفتنة البيان ، إنها رؤية ذاتية تشكلت تحت إلحاح عاطفة الأمومة التي تأبى التفريط في فلذة كبدها فشكلت خطاباً نوعياً يجسد صراعاً محتدماً بين زوج وزوجه في ولدهما ، إلا أن قوة الخطاب المنبثق عن استقلالية الرؤية تمكن من استصدار حكم يقضي باستحقاقها للولد وإخراج أبي الأسود من حضرة الأمير مجبوهاً محسوراً .

وفي السياق نفسه نجد خطاب هند بنت عتبة لأبيها قبل أن يزوجها من أبي سفيان يجسد هذه الرؤية الذاتية " إني امرأة قد ملكت نفسي فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه علي ، فقال لك ذلك ، فقال لها ذات يوم إنه قد خطبك رجلان من قومك ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك " وأخذ يصف لها الرجلين ، فقالت : أما الأول فسيد مضياع لكريمته، موات لها فيما عسى أن تعتص أن تلين بعد إبائها ويضيع تحت خبائها .. اخو ذكر هذا عني ، وأما الثاني فبعل الحرة الكريمة ...

فلما قال لها ذاك أبو سفيان : قالت فزوجه ولا تلق إلقاء السلس ، ولا تسمه سوم الضرس ... [104] .

فرؤية هند تنتمي إلى ذاتها بل تؤكد في خطابها تملّك مصيرها " إني امرأة قد ملكت أمري " وهي رؤية حرة ، مختارة ، جريئة ، قادرة على التميز ، تمتلك إرادة في اتخاذ القرار ، متجاوزة لتقاليد القبيلة العربية وأنماط تعاملها مع المرأة وهذه الرؤية عكست نفسها على الخطاب فحولت اتجاهه من أدنى إلى أعلى من خطاب كان يتوقع أن يتماهى في رؤية المخاطب (الأب ، المجتمع) إلى خطاب يؤسس لرؤية متجاوزة مهيمنة تعلن عن موقعها " المتحرر " وتطرح شروخها فيمن تتزوجه بل تكشف الخطاب عن رؤية واعية باستقلالية المرأة بوصفها إنساناً له إرادة مستقلة وله مداره الخاص وحركيته * .

ويأتي حديث البنات الثلاث مع أبيهن وكان قد عضلهن الأكفاء [105] منسجماً مع الخطابات السابقة في انبثاقه عن رؤية منتمية لذات المخاطبة ، المخاطبات .

* كشفت مضامين هذه الخطابات عن وجود تعالقات مع الموقف الفكري للقالي إذ إنه ينزع من خلالها إلى تزكية السياسة الأموية وتقديم برهان ولائه لهم لا سيما وقد حظي بقبول لدى امرائهم في الأندلس،وكان الكتاب من مؤلفاته في قرطبة، و اهداه للخليفة الاموي الحكم ، ولذا جاءت بعض الخطابات تعزز هذا المنحى فخطاب هند بنت ابي سفيان يشير إلى متانة اصول الامويين وخطاب زوجة ابي الأسود امام زياد تؤكد سياسة العدل بين الرعية والانتصاف للمظلومين، وخطاب الشجاء يشير إلى استيعاب الساسة الامويين للمعارضة السياسية وخطاب الخنساء مع الحجاج يفصح عن مدى إفساح المجال للرعية لعرض قضاياهم ، كما ان تعريضه بالخصوم السياسيين للامويين يصبُ في هذا الإطار مثل(حديث حبشية) و(حديث جارية الرشيد) وخطاب ام الفضل بعد قتل المامون ابنها وغيرها تشير إلى سلبية الساسة العباسيين .

قالت إحداهن :إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا فينبغي أن نعرض له ما في نفوسنا ... " وأخذت البنات يخاطبن أباهن واحدة تلو أخرى بدءاً بالكبرى فالوسطى وانتهاء بالصغرى التي قالت :

فما هو إلا الحل أو طلب الصبا ولابد منه فأنمر كيف تفعل

وما كان منه إلا أن أذعن لهذا الطلب فحلف لا يبيت حتى يزوجهن . فالخطاب يؤسس لموقع جديد للمرأة العربية المقهورة المحرومة من حقها في الزواج في ظل سلطة أبوية مستبدة ، هذا الموقع ليس موقع الاستقلال بل التمرد على الصمت والإصرار على المكاشفة " أن نعرض له ما في نفوسنا " .

رؤية تتجاوز الخطوط الحمراء في نسيج الثقافة العربية التي تحول دون البوح بالرغبة في الزواج من قبل الأنثى ، موقف منطلق من دافع الخوف من فقدان الذات (وقد ذهب حظ الرجال منا) وما الذي يبقى من المرأة حينما يفوتها قطار الحياة، وينسل الزمن من بين أصابع الشباب؟.

وهذه الرؤية نلحظ أنها قد اتسمت بما يأتي :

- أنها غادرت فضاء الصمت وعانقت فضاء البوح العلني . - تحولت من موقع الغياب إلى موقع الحضور . - انتقلت من الاستسلام إلى التجاوز والاختراق . -حققت هوية الذات وانتصرت لإرادتها .

وهناك رؤى ذاتية حاولت أن تدفع بالخطاب النسوي إلى الاستقلال وعدم الذوبان في الآخر إلا أنها ظلت تجاذب ارتباخها بالآخر ولم تتمكن من تحقيق التجاوز ومن تلك الخطابات : خطاب بنت الملك [106] ، ما وقع بين رجل من العرب وزوجته من الخصام [107] وخطاب زبراء الكاهنة [108] فالأولى كان خطابها منفعلاً بتأثير خارجي هو نصيحة جواريها والثانية توقفت بخطابها عند وصف مساوئ زوجها أما الثالثة فوقفت عند تخوم التنبؤ الذي لم تتمكن من بث الحيوية والفاعلية فيه ليؤثر في قومها .

2- الانتماء إلى الآخر

تتكشف للمتأمل في الخطاب النسوي في كتاب الأمالي رؤى المخاطب ، المخاطبة منتمية لذاتها - كما سبق - وفي الوقت نفسه تتجلى رؤى تابعة تنطلق منها الذات المخاطبة في لحظة إنتاجها لخطابها، بحكم موقع هذه الذات من الآخر بوصفه فرداً أو

مجموعاً أو ثقافة .. يمارس سلطة ما تتسلل في ثنايا الخطاب وتسهم في تشكيل نسيجه . ويعدّ حديث ليلي الأخيلية مع الحجاج [109] أنموذجاً لهذه الذات قال يا ليلى ما أتى بك ؟ قالت إخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد .

قال لها : صفي الفجاج قالت : الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة، والمبرك معتل، وذو العيال مختل والهالك للقل ، والناس مسنتون رحمة الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ومزقت العيال ... ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً قال هاتي فأنشأت تقول :

أَحَجّـاجُ لا يُفْلَـلْ سـلاحُكَ إنّمـا الـ مَنايـا بكَـفٍّ اللّـه حيـثُ يَراهـا

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال أتدرون من هذه؟ قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين ،إلا أنا لم نرقط أفصح لساناً ، ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجهاً، ولا أرصن شعراً منها، قال :هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها . ثم قال أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة .....

ومن تتبع مجريات الخطاب نجد أن ليلى الأخيلية تنطلق في توجيه خطابها من رؤية تابعة اقتضتها أولاً علاقتها بالمخاطب (الحجاج) فهي علاقة التابع بالمتبوع علاقة فرد من الرعية بالسلطة السياسية فضلاً عن أنها جاءته مسترفدة " كنت لنا بعد الله الرفد " .

فالذات المخاطبة تبحث عن شروط وجودها من خلال الآخر الذي بدونه قد يضيق بها فضاؤها ولذلك فإنها تتخذ استراتيجية معينة في تحركها- وهي تبني خطابها - تقوم على تضخيم الآخر لأن الآخر في موقع " المركز " الذي ينفي المواقع الأخرى بل تعمد المواقع الأخرى إلى الذوبان في هذا الموقع فالتبعية هنا تبعية تعبير وتبعية تفكير ، تبعية تعبير تجسدت في تكييف بناء الخطاب بما يتواءم ورغبة المخاطب من ناحية وفي تحديد طبيعة الفحوى بما يشكل إجابات تشفي غليل المخاطب الذي فاتشها في أكثر من موضوع ..

ما الذي جاء بك ؟ صفي لنا الفجاج ؟ أنشدينا بعض ما قاله: فيك توبة ....

ولذلك كان خطاب ليلى الأخيلية متسماً بما يأتي :

- الذوبان في الآخر (الحجاج) يشبع نزوته الداخلية في الاستمتاع في السرد العاطفي فطالما طلب منها الحجاج نزع النقاب عن تجربتها العاطفية مع توبة الخفاجي في سياق هذا الخطاب .
- خطاب مستلب : يتوجه بحسب رغبة الحجاج (على الرغم من أن الخطاب : يكشف بطريقة غير مباشرة سوءات النظام السياسي الأموي في الاستحواذ على السلطة من ناحية وفي فرض أنماط العلاقة من ناحية أخرى) .
- خطاب تابع لأنه لم يتمكن من تحقيق هوية المخاطبة بل عزز مكانة المخاطَب على الرغم من استيعابها الكامل لأيدلوجيته .
- خطاب سلبي : لم يتمكن من تحقيق أي دور إيجابي ، لكنه يوظف المعاناة الجمعية " أصابتنا سنون ... " لتحقيق مكسب شخصي" مائة من الإبل برعاتها " .
- خطاب ثابت يعزز موقع الآخر ويضفي عليه الشرعية الدينية " كنت لنا بعد الله الرفد "

" حَجَّاجُ أَنتَ الذي ما فَوْقَهُ أَحَدٌ إلاّ الخَليفَةُ والمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ "

فهو خطاب يسهم في إنتاج السلطة وتقويتها ، إنه خطاب يكشف عن هيمنة السياسي واستغلاله لبنية الخطاب الإبداعي.

وقد تكون المخاطبة منطلقةً من رؤية ذاتية تنتمي إلى الآخر انتماء غير مباشر" حيث تتقمص المرأة في خطابها رؤية الرجل فتعطينا المرأة صورة عن نفسها هي صورة سجينة للرؤية التي يقدمها الرجل عن المرأة " [110]، وذلك ما نلمسه في خطابات ابنة الخس [111] .

فابنة الخس في خطابها تصدر عن رؤية ذكورية تتبنى نظرة الرجل لمواصفات المرأة من ناحية ومن ناحية أخرى تتبع هذه المواصفات من ثقافة اجتماعية تفرض سلطتها على خطاب ابنة الخس ، فالرؤية التي تقف وراء تشكيل هذا الخطاب هي رؤية غيرية وليست ذاتية ، تتبنى الرؤية الجمعية ولا تحقق فرديتها ، بل إنها لتعلن عن أنوثتها من خلال الغير .

وتعزز هذه الرؤية خطابات " جارية المأمون في حوارها مع الرشيد[113] وحديث الجارية التي اشتراها أبو السمراء لعبد الله بن طاهر[114] ووصف بعض النساء العرب خيل آبائهن [115] وغيرها .

المبحث الثاني :الخطاب

أ/ لغة الخطاب :

اللغة ظاهرة إنسانية بها يتشكل الفكر ، ويتحقق التواصل الإنساني ، وعبرها تسافر الثقافة الإنسانية من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أخرى ، بل يمكن القول : " إن الجماعات الإنسانية تعيش وتتحرك داخل اللغة وداخل فضاءات تواصلية تحتضن الأشكال المتعددة للاختلاف كما تستقبل الأساليب المتنوعة للتعبير عن التفاهم والتوافق " [116] .

وقد عرفها ابن جني قديماً بقوله " اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [117] فاللغة ذات طابع اجتماعي تداولي ، يتوسل بها أفراد مجموعة ثقافية بعينها في التعبير عن أغراضهم ، "والأديب عندما يعبر عن أفكاره ومشاعره فإنه لا يعبر عنها في عزلة عن الواقع الاجتماعي المحيط به .." فالمجتمع ليس خارج الأفراد فحسب بل هو الخارج والداخل معاً " [118] وهذا المستوى التداولي للغة هو فضاء اشتغال الدراسة ، اللغة بوصفها نشاطاً تعبيرياً ، وليس بوصفها مؤسسة اجتماعية ، ولذلك يتجه التحليل إلى لغة الخطاب النسوي في كتاب الأمالي بغية توصيف هذه اللغة من ناحية ، والبحث عن الوشائج التي تربطها بالمخاطب والمخاطب من ناحية أخرى لأن منتج الخطاب ليس معزولاً عن سياقه الاجتماعي والثقافي ، ولأن الخطاب ليس بريئاً - على حد تعبيربارت - فهو لا ينهض من فراغ ، ومن محاورة بعض الخطابات النسوية تتبين طبيعة التشكيل اللغوي فيها ؛ ومن ذلك كتاب امرأة إلى زوجها وكان مع الحجاج يحضر طعامه وهي في أسوأ حال وقد كتب يعلمها بذلك فكتبت إليه :

أيهدى لي القرطاس؟ والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين[119]

إن الخطاب يتجه من امرأة إلى زوجها ، ومن طبيعة الخطاب في هذا المقام - بحسب الأعراف العربية - أن يكون مفعماً بمعاني الإجلال ما دامت العلاقة بين زوج له القوامة وزوجة من واجبها الإذعان والامتثال لمقام ورابطة الزوجية ، بيد أن السياق الذي احتضن هذا الخطاب ينبئ بتوتر العلاقة وإخلال أحد الطرفين بمقتضياتها ، فالمخاطب : زوج مقصر في حقوق الزوجية، مستهتر، لا مبال فهو يحضر طعام الحجاج وفوق ذلك يكتب رسالة إلى زوجه يعلمها بحاله ، فالمفارقة جلية ومن شأنها أن تستفز المخاطبة وتدفعها لصياغة خطاب مشحون بالانفعال ، والسخرية :

أيهدى لي القرطاس؟ والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين ؟

فالاستفهام الإنكاري يفتتح الخطاب ويحمل معه آهة قلب مكلوم ، ويأتي الفعل " يهدي " ليكشف عن الهدية المنتظرة من الغائب ، لكنها كانت حبراً على قرطاس ، يخبرها بما لا يسرها بل بما يزيدها آلاماً على آلامها ، " وأنت على باب الأمير بطين " وهذا التصوير يكثف دلالة الخطاب ، ويعزز قدر المفارقة الكائنة بين امرأة جائعة تنتظر من رب الأسرة أن يقوم بمسؤولياته حيالها وإذا به يتطفل على موائد الأمير ، بطيناً متخماً ،إن المخاطبة إذ تعبر عن نفسها عبر" ياء المتكلم " لي "- في الشطر الأول- لتعلن عن موقعها ، لكن ذلك لم يمتد في بقية أجزاء الخطاب ، " إذا غبت لم تذكر صديقاً " " جوع أهله " فالتعبير عن أنا المخاطبة " تحول إلى صيغة أخرى فتارة هي الصديق وأخرى الأهل " لأن الخطاب انفتح ليجعل تفريط المخاطب في دائرة علاقات أوسع : ولذا جاء الشرط مفيداً التوكيد والتعميم :

إذا غبت لم تذكر صديقاً ولم تقم فأنت على ما في يديك ضنين

ليسمح للخطاب بالانتقال إلى ذروة الاستهزاء والسخرية " فأنت ككلب السوء . وقد تكرر ضمير المخاطب عدة مرات: أنت ، أنت ، أنت ، غبت ، يديك ، لم تذكر، لم تقم.

إن رؤية المخاطبة تحكمت في صياغة الخطاب وهي رؤية نابعة من رؤية الإسلام لطبيعة العلاقة بين الرجل وضرورة قيام الزوج بتبعات الزوجية ومنها الإنفاق ، لكن السياق الذي تهشمت فيه تلك العلاقة قد سمح للمخاطبة أن تبني

خطابها بهذه الصورة ، التي تبدو فيها المخاطبة محكومة بعلاقة مزدوجة ، علاقتها بموضوع الخطاب " المطالبة بحقوق الزوجية من ناحية ، وعلاقتها بالمخاطب- زوج مستهتر أثار دفين أوجاعها- من ناحية أخرى فجاء الخطاب مكثفاً موجزاً مباشراً منفعلاً يحيل على نفسية المخاطبة ومقامها،و يتواءم مع موقف المخاطبة وعلاقتها بالمخاطب وسياق الخطاب ويجسد ثورة المرأة وخصوصية طبيعتها الأنثوية في التعامل مع عشيرها في لحظة سخطها منه .

وإذا استعرضنا خطاب الأخيلية للحجاج نجد أنه ذو مساحة نصية أوسع وخصائص أخرى تحتكم إلى عوامل متعددة ، فموقع الأخيلية من الحجاج موقع محكوم بعلاقة السلطة السياسية بأفراد الأمة ولذا جاء خطابها على نحو معين .

فاللغة في خطاب ليلى الأخيلية لغة ذات خصوصيات أسلوبية تتحدد بغاية الخطاب والموقف من المخاطب والسياق الاجتماعي والثقافي .

إذ نلحظ أن إجابات الأخيلية تميزت بالاستطراد وتكثيف المشهد إخلاف النجوم، قلة الغيوم ، كلب البرد ، شدة الجهد ، كما تميزت بغرابة الألفاظ "سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً ولا عافطة ولا نافطة "...

ولا شك في أن الأخيلية وهي الشاعرة التي تمتلك سلطة البيان ، تتعامل مع الموقف من استراتيجية تحقيق فتنة الكلمة ، وتأسيس سلطة بيانية تغري المخاطب " السلطة السياسية " بالإنصات والوقوع في دائرة السحر لتحقيق مآربها ولذلك أسبغت على خطابها جملة من التقنيات التعبيرية منها :

- الغرابة اللغوية : إذ عمدت إلى استثمار قاموسها اللغوي لرمدها بمفردات رصينة وغريبة تحمل المخاطب ومن معه على التسليم بحقوقها : " والله ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها " " لم نر أفصح لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح وجها ولا أرصن شعراً منها " ، وهذه الغرابة اللغوية انسجمت مع موقفها وهدفها وسياق خطابها ، وهذه الخصيصة افتقدناها في الخطاب السابق الذي جسد حنق امرأة من سوء تصرف زوجها فاتسم خطابها بالتلقائية وجاء خلواً من الغرابة والمحسنات التعبيرية وكل مظاهر الصنعة لأنها لم تكن في سياق إبراز التفوق ولا استصدار شهادة إعجاب ولا تحقيق فتنة

الخطاب ، مما نجده في خطاب الأخيلية مع الحجاج بل نجد ذلك في أحاديث الأخيلية عن توبة الخفاجي – التي أخذت تسردها أمام الحجاج .

- التكرار : "وهو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني"[120] تستهدف" تكثيف التماثل في النص وتحقيق وحدته العضوية عبر التركيز على وظيفة التماثل الموقعي" [121] ومن مظاهر التكرار في خطاب الأخيلية .

شفاها ، شفاها ، سقاها ، سقاها ، أعد لها ، أعدّ لها،أيها الأمير – إني قلت في الأمير – نعم أيها الأمير .

وقد ورد التكرار بمستوياته المختلفة : تكرار الحرف " همزة النداء أحجاج ، أحجاج " ولا النافية "لا تعطي ، ولا الله يعطي" ، وتكرار الكلمة : " حجاج " ست مرات " أنت " ثلاث مرات " والأمير" خمس مرات ، والأفعال" شفاها ، سقاها ، أعدلها تكرر كل منها مرتين، وتكرار التركيب : " لا والذي أسأله أن يصلحك " مرتين ".

وهذا المستوى التعبيري لم يأتِ عبثاً إنما جاء ليحقق غايات فنية ودلالية ونفسية لأن التشبث بتكرار اسم الحجاج في ثنايا الخطاب يدل على حرص المخاطبة في الاستحواذ على اهتمام المخاطب وتتبع مفردات الخطاب ، كما يوحي بالحالة النفسية للمخاطبة وهي في حضرة الأمير وهي حالة نشوة ، في فرصة ر بما لم تتح لها مرة ثانية ، مما يجعلها تهتبل هذه السانحة بتقديم خطاب يحقق أهدافه المرسومة، كما نجد تكرار لوازم لغوية يقتضيها مقام الخطاب مثل قولها: أيها الأمير، لا والذي اسأله أن يصلحك، وهذه اللوازم "تحدد" طبيعة العلاقة بين المخاطب والمخاطب، فضلاً عن أن التكرار يحقق ترابط الخطاب ويضفي عليه مسحة إيقاعية .

- استثمار الضمائر : إذ نجد أن ليلى الأخيلية عندما سئلت عن سبب قدومها تعبر بضمير الجمع كنت لنا بعد الله الرفد ، لم تدع لنا هبعاً .. ، أصابتنا سنون.. وبعد ذلك نجد الخطاب يتمركز حول : " أنا المتكلة " إني قلت ، كان يلم بي، أني، قد قلت أكثر من هذا ... وهذا التحول ينم عن ذكاء الشاعرة الأخيلية في سبك خطابها، إذ عرضت القضية أولاً بضمير الجمع ليوحي بأنها لسان قومها ،

المتحدث بمعاناتهم حتى إذ تمكنت من استرعاء اهتمام الحجاج أخذت تتحدث بضمير الأنا الفرد.

- تكثيف المترادفات : أصابتنا سنون : مجحفة ، مبلطة ، الفجاج مغبرة ،الأرض مقشعرة ..
- وهذه الجمل المتتالية تحقق تكثيف تفاصيل المشهد ، ورسم أبعاد المعاناة وتعضدّ تملك الأخيلية لناصية اللغة .
- توظيف الطاقات الإيقاعية للتعبير من خلال التوازي " الذي يعد عنصراً تأسيسياً وتنظيمياً في آن واحد" [122] ومن خلال المؤثرات الأخرى كالتكرار والتجنيس والسجع : إخلاف النجوم، قلة الغيوم، كلب البرد، شدة الجهد. وإذا كانت لغة خطاب الأخيلية مع الحجاج - بوصفها لغة تتجه من أدنى إلى أعلى- تحكمها علاقة بعينها فإننا نجد لغة خطابها تخلع عنها اعتبارات التبجيل وتقدير المقام حينما خاطبت الحجام : ثكلتك أمك إنما أمر أن تقطع لساني بالصلة ، وفي جوابها على سؤال أحد جلساء الحجاج الذي استفسر : من هذا الذي تقول فيه هذا؟ قالت: إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا تكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه .
- تكثيف الحقول اللغوية الدالة :

أ – حقل القوة : لا يفلل سلاحك، المنايا بكف الله حيث تراها، لا تعطي العصاة مناهم ، تتبع أقصى دائها فشفاها ، إذا هز القناة سقاها ، سقاها دماء رجال، رز كتيبةٍ، أعدّ لها مسمومة ،شهاب الحرب ... وهذه المفردات تلامس نفسية الحجاج وتواكب قوة شكيمته وشدة بأسه في إدارة شؤونه ، وقد أجادت المخاطبة العزف على هذا الوتر بما يدغدغ دخيلة المخاطب ويعضد نزوعه نحو حسم المواقف مع مناوئيه بالقوة، مما يمنحه شرعية لتوجهه.

ب- حقل البذل والعطاء : وقد تمثل في عدد من المفردات منها: الرفد ، رحمة الله يرجون ، تعطي ، ثناها ، سقاها ، قراها، الصلة ، أنت أجود جوداً و أورى زنداً ...

وقد تمكنت من بث مفردات هذا الحقل في نسيج الخطاب بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

وإذا كانت الأخيلية في بلاط الحجاج قد أنجزت خطابها بصيغته التي ألمحنا إليها فإن امرأة أخرى قد أنجزت خطاباً مغايراً على الرغم من أن كلتيهما تقف في بلاط أمير، وهذه الأخرى هي زوج أبي الأسود لكن هدف الخطاب ، ونفسية المخاطبة ، وطبيعة السياق يختلف عن ذلك تماماً .

ولذلك تميز خطابها بالإيجاز واللغة المنطقية التي تقتضيها عملية المحاججة فلما قال زوجها : حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه في أدبه وأنظر في أوده ... أجابت: صدق أصلحك الله ، حمله خفاً وحملته ثقلاً ووضعه شهوة ووضعته كرهاً

فهدف الخطاب الإقناع لا الإمتاع ولذا لجأت إلى هذه المقارنة كما لجأت إلى أسلوب الاستعطاف .

كما كثف الخطاب حضور صوت المتكلمة تجسيداً لرغبتها في تحقيق الحضور الواقعي وكانت الإضافة على مستوى الأسلوب(ابني، حجري ، ثديي) متناغمة مع طمعها في تحقيق الإضافة في عالم الواقع وإلحاق ابنها بها.

كما نلحظ التوازي والتجنيس (أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ..) وغيرهما من المنبهات الأسلوبية التي تتآزر في توجيه الخطاب فضلاً عن ترتيب المراحل الخاصة بنمو ابنها ليكون خطابها أقدر على استجلاب نصرة الأمير الذي جبه أبا الأسود قائلاً :" أردد على المرأة ولدها في أحق منك ودعني من سجعك ".

وحينما يكون الخطاب موجهاً من أعلى إلى أدنى كالخطاب الذي وجهته أمّ لابنها[123] نجد أنه يتميز بسمات أسلوبية خاصة .

* الحوار : يعد الحوار خصيصة بارزة من خصائص الخطاب النسوي في الأمالي ولعله يشكل حضوراً أكبر في الخطابات النثرية ويقل في الخطابات الشعرية ومن تلك الخطابات التي ورد فيها الحوار (مطلب النسوة اللاتي أشرن على بنت الملك بالتزوج) [124] ومطلب ما وقع بين رجل من العرب وزوجته من الخصام والمشاتمة [125] ، وما وقع بين أبي الأسود وامرأته من المخاصمة [126] ووصية بعض نساء الأعراب لابنها وقد أراد سفراً [127] وما اشترطته هند على أبيها [128] وحديث الشجاء الخارجية [129] .

ومن الخطابات الشعرية أو التي أمتزج فيها الشعر بالنثر وورد فيها الحوار ، حديث ليلى الأخيلية مع الحجاج [130] .

وخطاب زبراء الكاهنة [131] وحديث الجارية التي اشتراها أبو السمراء [132] وما جرى بين دريد والخنساء [133] ويشكل الحوار ظاهرة من ظواهر التشكيل اللغوي لتلك الخطابات ، وقد اعتمد في بنائه على الفعل قال بحسب إسناده إلى الضمائر ، ويسهم الحوار في استنطاق الشخصيات وكشف مواقفها ومواقعها وقناعاتها كما يجلي الأبعاد الداخلية لها فنحن لا ندرك مثلاً موقف الأخيلية في تجربتها مع توبة إلا من خلال الحوار الذي استدرجها إليه الحجاج فتكشفت ملامح تلك التجربة وباحت بمكنونها الداخلي وبالمثل فلن ندرك الموقف السياسي بالشجاء الخارجية إلا من خلال حوار يزيد معها ، ومن الصعب أن نفهم أبعاد قضية أبي الأسود مع زوجته أمام زياد إلا من خلال الحوار .

وإذا نظرنا إلى الشخوص المتحاورة فإننا سنجد شخصيةً أساسية واحدة تحاور الشخصية أو الشخصيات النسوية مثل ما وقع بين رجل وامرأته من الخصام وحديث ابنة الخس مع أبيها بينما نجد في خطابات أخرى إلى جانب الشخصيات الرئيسية شخصيات ثانوية تؤدي أدواراً جزئية في إدراة الحوار وإضاءة بعض جوانبه مثل شخصية صديق الخليل بن أحمد ، وشخصية زوج حبي في (حديث عمرو بن معد يكرب مع حبي ..) ويتجلى مما سبق أن لغة الخطاب تخضع في تشكلها لنفسية المخاطب وحالته الذهنية وطبيعة علاقته بموضوعه وبالمخاطب والسياق الذي أنتج فيه الخطاب وكلها تتضافر في توجيه الخطاب بما يتواءم معها وتكشف عن مستويات تعبيرية تنطوي على بنية اجتماعية تشغلها المرأة العربية .

ب - مضامين الخطاب :

تعددت مضامين الخطاب النسوي في نصوص الأمالي بما يجسد منظومة اهتمامات المرأة ، وعلاقتها بواقعها الذي اكتنف لحظة إنتاج الخطاب ، ومن أبرز تلك المضامين

أ/ البعد العاطفي : مثل هذا البعد هاجساً ملازماً تمكن من استقطاب جملة من الخطابات النسوية ، وحقق حضوراً وافراً تجلى في تفصيلات متعددة .

من ذلك : عاطفة الحبّ والعشق ، كما في نص زينب بنت فروة في ابن عم لها :- (134)

يـــا أيهـــا الراكـــب الغـــادي لطيتـــه عـــرج أنيبـــك عـــن بعـــض الـــذي أجـــد

فخطاب زينب لابن عمها المغيرة يحمل عاطفة مشبوبة تعالجها في أعماقها ووجداً يفوق وجد العاشقين ، ولذلك - تنادى – على سنة العرب الشعرية راكباً يقاسمها بعضاً من لواعج حبها لابن عمها الذي يتحدد موقعها منه بموقف الودّ والحرص على إرضائه .

ويسهم الخطاب في جلوة الموقف النفسي للشاعرة ، المفعم بالوجد والود الذي لم تستطع تقاليد القبيلة العربية أن توصد أبواب البوح عن مكنونه ، تقول شقراء :

سـأرعى لعـيس الـود مـا هبـت الـصبا وإن قطعـــوا في ذاك عمـــداً لـــسانيا

وقـد تمـارس المواضـعات الاجتماعيـة سـلطتها في الحيلولـة بـين العاشـقة ومعـشوقها في لقائهمـا ، فيقـوم الخطـاب اللفـوي بتحقيـق التعـويض النفـسي ، ووصل ما انقطع ، تقول خليبة الخضرية تهوى ابن عم لها فعلم بذلك قومها فحثوها فقالت : (135)

فَـــلا يفـــرح الواشـــونَ بِـــالهجرِ ربّمـــا أطـــالَ المحـــبَ الهجـــر والجيـــب ناصـــحٌ

فهي تؤكد عمق أواصر المحبة بينها وبين معشوقها ، على الرغم من حجب قومها لها عن وصل محبوبها، وكان الخطاب الشعري وسيلتها الأثيرة في التعبير عن خوالج نفسها، بيد أن أم ضيغم البلوية تبدو أكثر جرأة في تصوير مشهد خلوة بمعشوقها بعيداً عن الرصد الذين يبتغون حجبها عن ممارسة طقوس اللقاء، تقول:(136)

وبتنـــا خـــلافَ الحـــيّ لا نحـــنُ مـــنهم وَلا نَحـــــنُ بِالأعـــــدَاءِ مُختَلِطـــــانِ

فالبلوية تكشف عن تفاصيل مشهد غرامي ، ومغامرة جريئة مع محبوبها ، إذ تمكنت من الظفر به " خلاف الحي " يجمعهما بردان عطران ، يمنيان ، مما يزيد من متعة اللقاء ، ونلحظ مدى الإثارة التي يقدمها الخطاب ، بيد أن السياق الثقافي

والاجتماعي يتدخل في صياغة العاطفة وهذا ما نجده في البيت الأخير الذي تتجسد فيه ذروة الصراع في الخطاب بين الممنوع - والمباح ، ويتأرجح الخطاب بين هذين الطرفين : " نذود بذكر الله عنا من الأذى ونصدر عن أمر العفاف " وربما نقعنا غليل النفس بالرشفان ".

فالعفاف هو القيمة المتحكمة في طبيعة هذه المغامرة العاطفية ، وذكر الله هو الحجاب الذي يدرأ عنهما الأذى ، بيد أن القلبين واجفان والعواطف مشبوبة مما يبيح لهما - بمنطق الحب – أن ينقعا غليل النفس بارتشاف القبل وقد سئلت ابنة الخس : ما ألذ شيء ، قالت : قبلة فتاة فتى ؟ (137)

وربما تقدم هذه الخطابات تفاصيل خيالية ليس من الضروري أن تكون قد تحققت واقعاً . ولم تقتصر الخطابات العاطفية على المرأة الحرة بل نجد خطاباً عاطفياً لجوارٍ عبرن عن مكنون عواطفهن ومن ذلك : حديث الجارية التي اشتراها أبو السمراء (138).إذ يصور عمق علاقتها العاطفية التي تربطها بمولاها .

وهذه الخطابات تمنحنا صورة جلية عن موقف المرأة العربية إزاء قضاياها العاطفية ومنها قضية الحب الذي كانت أغلب تجاربه – كما تفصح الخطابات – تجارب عذرية في عمومها متلفعة بالبراءة ، مما يشف عن عفوية هذا العشق ونقاوته وإيجابية المرأة المخاطبة في إنتاج خطاب يلامس انشغالاتها الوجدانية وهواجسها الداخلية ، تقول الأخيلية حينما سألها الحجاج عن توبة : (139)

" كان يلم بي كثيراً ، فأرسل لي يوماً أني آتيك فأرصدوا له فلما أتاني سفرت عن وجهي فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع . فهي تتشبث بقيمة الوفاء وتنفي الخيانة ، وترى أن اللقاء لا يقدح عفافها ولا يصمها بالخيانة ، كما يقدم لنا الخطاب ، تقليداً عربياً هو سفور المرأة عن وجهها وما يمثله من إشارة تخاطب بين المحبين بما لا يكدر نقاوة عفافها ، خطاب يقدم خصوصية عواطف المرأة العربية ووشائج انتمائها إلى مجتمعها ، عبر لغة معبأة بالصدق والطراوة .

ب - البعد التربوي

لا تغفل الخطابات النسوية في كتاب الأمالي البعد التربوي وإسهام المرأة في هذا المضمار ومن الخطابات المجسدة لهذا البعد " وصية بعض نساء الأعراب لابنها وقد

أراد سفراً [140]. وهذه الوصية بمثابة دستور تربوي أخلاقي ينبئ عن عمق ثقافة هذه المرأة واستيعابها لدورها التربوي فهي تمنح فلذة كبدها خلاصة تربوية ، تعينه على أمر سفره ، ويحفظ له توازن شخصية وتكاملها بأسلوب بياني رفيع ، ونلحظ أن المرأة تركز على منظومة من الأخلاق تمثل في مجملها أخلاق الاجتماع الإنساني بشقيها : أخلاق التحلية ، وأخلاق التخلية (فالنميمة والتعرض لعيوب الناس و البخل بالمال و الجود بالدين وسؤال الآخرين) هي أخلاق ينبغي له التخلي عنها ، و(الحلم والسخاء و مطابقة الفعل للقول) ... هي أخلاق كريمة تزين شخصيته وينبغي له التحلي بها ... ونلحظ أن المرأة لا تلقي وصاياها دون اكتراث إنما تهيئ المناخ النفسي وتختار الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه وهي تمنحه وصيتها :أي بني أجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، ثم تبين أهمية الوصية وخطرها ومكانتها في العملية التربوية لأنها تمثل خلاصة تجربة حياتية مديدة ومعاشرة للحياة " فإن الوصية أجدى عليك من بعض عقلك " ولم تستفتح وصاياها إلا بعد أن نادته بصيغة " أي بني " التي توحي بالقرب ، وتشعر بالعطف وتحمله على حسن التلقي والإصغاء . وكل هذه أساليب تربوية تسهم في تحقيق عملية التأثير في سلوك المتلقي وتنم عن تسنم هذه المرأة لمرتبة عليا من حسن التقدير والتوجيه والتربية .. مما جعل " أبان" يلقي السمع وهو شهيد يحثها على الاستمرار ويستزيدها من الوصية " ألا زدت في الوصية ؟ " . وهناك أنموذج آخر يكشف عن هذا البعد التربوي لدى المرأة العربية ، ومدى إدراكها لمسئولياتها التربوية حيال أبنائها، نجده في نص أبي الأسود مع زوجه [141] وهي تخاصمه وتضع مبررات استحقاقها لولدها .. (هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري فناءه ، وثديي سقاءه .. أكلؤه إذا قام ، واحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله واستوكعت أوصاله ، أراد أن يأخذه مني ...) .

ومما يتصل بهذا البعد قيام بعض النساء بترقيص أبنائهن بواسطة أبيات شعرية تحمل قيماً تربوية وأخلاقية تقول هند وهي ترقص ابنها : [142]

إن بني معرف كريم ... محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم ... ولا بطخرور ولا سئوم

وعلى شاكلة هذا الخطاب خطابان لا حقان لـه: الأول لضباعة بنت عامر[143] تصف ابنها المغيرة ، والثاني لأم الفضل تصف ابنها عبد الله بن عباس [144] وهذه الخطابات - على سبيل المثال - تكشف مدى إلمام المرأة العربية بالمسألة التربوية وأبعادها المختلفة في تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة.

ج - البحث عن الرجل الأنموذج

ترتسم في ذهنية المرأة العربية مفردات الصورة المثالية للرجل الأنموذج الذي تروم أن تقترن به في مسيرة حياتها ويشاركها رحلة عمرها ، ولا شك في أن النزوع إلى المطلق هو الحادي في تشوفها المثل العليا وتجسده في خطاباتها التي تتواتر في رسم تفاصيل صورة كمال أخلاقي اجتماعي وجمالي- نفسي وحسي - ومن تلك الخطابات حديث النسوة اللاتي أشرن على بنت الملك بالتزوج [145]

إذ نلحظ في الخطاب أنه يفصح عن بحث الملكة عن الزوج وتكليف نسائها . بمهمة البحث الميداني عنه في الأحياء، إن بنت الملك قدمت مواصفات الأنموذج المطلوب:" محمود الخلائق مأمون البوائق، كفؤاً كريماً ، يود عشيرته ،و يربُّ فصيلته ، لا أتقنع به عاراً في حياتي، ولا أرفع به شناراً لقومي بعد وفاتي ... " وهي مواصفات تنم عن مستوى معين من الوعي والتفكير ينسجم وموقعها الاجتماعي فهي في بيت ملك ، تهمها الأخلاق الجمعية في المقام الأول ، بيد أن الواصفة " حينما وصفت لها يعلى بن هزال وضعت المواصفات المحتملة له بما يغري المخاطبة " بنت الملك " بقبوله : فهي مواصفات في مقدمتها معنوية تتعلق بالحسب والنسب والأدب ، ثم بغزارة العطاء والألفة تعقبها المواصفات العمرية والجسدية" مقتبل الشباب خصيب الجناب" ثم بقوة الشخصية : " أمره ماض ، عشيره راض " وهذه المواصفات تتسم بالشمول لجملة الأخلاق المثالية في الرجل الأنموذج الذي يليق بامرأة من طبقة حاكمة .

ونلحظ أن المخاطبة تعلن تحديد موقعها المستقبلي بالنسبة للزوج " وهذا الموقع تحدده منظومة المواضعات العربية " قد نظرت فيما قلتن فوجدتني أملكه رقي "وأبثه باطلي وحقي " التي ترى أن موقع المرأة من الزوج موقع الأمة الرقيقة من سيدها - فابنة الملك لا تتكلم من موقعها الملوكي لتحقق ذاتها المالكة بهيمنة

أنثوية لكنها ترى أن تحقّق ذاتها يكمن في رجلها، ولديها استعداد لأن تتنازل عن عرش الملك الذي تسوسه لتتملك عرش الزوجية الذي يسوسه بعلها.

فالبنية الثقافية تدخلت في صياغة الخطاب بشكل كبير.

وهذا ما نجده في خطاب آخر هو خطاب هند لأبيها :(المشار إليه سابقاً) .

وعلى الرغم من أن المرأة تخلق هذا الأنموذج عبر خطابها فإنها تؤكد تبعيتها له بوصفه يمتلك مقومات التفوق ، فهي" تأخذه بأدب البعل وتملكه رقها " مما يعزز هيمنة النسق الثقافي الاجتماعي في توجيه دلالات الخطاب وصياغته بلسان المرأة التي تبدو منصهرة في نسيج ثقافي غالب تلتزم حدوده وتصدر عنه ، فهند في صدارة خطابها لأبيها تؤكد أنها قد ملكت أمرها " وهذا التملك ينبثق عن رؤية منتمية إلى الذات لكن دلالة الخطاب عموماً تؤكد انصياعها للنسق العام .

بل أننا نلحظ تعالق الخطاب بالبعد السياسي ، واصطباغه بصبغة أيدلوجية،تكشف عنها معرفة علاقة القالي- مؤلف الكتاب- بالأمويين وانتمائه لهم وحرصه على تلميع تأريخهم .

وفي خطاب الخنساء [146] نجد أنها ترفض الزواج ممن يفتقد المواصفات الجمالية "

معاذ الله يرضعني حيركى قصير الشعر من جشم بن بكر

وهي مواصفات جمالية تتفق وطبيعة انشغالاتها الأدبية . وقد تتحد مواصفات الرجل الأنموذج في نظر المرأة بطبيعة المرحلة العمرية للمخاطبة، سالت أم بناتها عما يحبن من أزواج [147] قالت الكبرى : " أريد أروع بساماً أخذ مجذاماً ، سيد ناديه،و ثمال عافيه ومجيب راجيه ، فناؤه رحب، وقياده صعب ". قالت الوسطى : أريده عالي السناء ، مصمم المضاء ، في الأهل صبي ، وفي الحي كمي ..

قالت الصغرى : أريده بازل عام ، كالمهند الصمصام ، قرانه حبور ، ولقاؤه سرور، إن ضم قضقض ، وأن دسر أغمض وإن أخل أحمض" .

قالت أمها : فضّ فوك ، لقد فررت لي شرة الشباب جذعة .

إذ نلحظ أن الكبرى تشغلها اهتمامات أكثر لصوقاً بالمفاهيم الاجتماعية للرجل الأنموذج في حين أن الوسطى أقل حفاوة بها وتطمع فيمن تستعبده الحليلة ولا يستعبدها ، أما الوسطى فرسمت صورة تتجانس ومرحلتها العمرية فجل مواصفاتها

المطلوبة هي مواصفات جسدية ، كما كانت الوسطى والصغرى أكثر اقتراباً من ذاتهما في تحديد تلك المواصفات.

وتفصح مكاشفة خطابات المرأة ذات العلاقة بهذه المفردة الموضوعية عن تبلور صور للجمال كلمات الرجولي من وجهه نظر المرأة ، تكافئ صورة الجمال الأنثوي التي رسمتها المخيلة العربية بيد أنها لا تحفل كثيراً بالمواصفات الجسمانية الظاهرية قدر احتفالها بجوانب الفروسية و بالجوانب المعنوية والسجايا الأخلاقية فضلاً عن كرم الحسب والنسب وأدب المعاشرة كما أن الخطابات تؤسس لأنموذج متخيل وتتحكم رؤية ومقصدية المرأة في رسم صورة خاصة بها تتعالق ومكانتها الاجتماعية، وطبيعة مرحلتها العمرية فكل خطاب يؤسس لرؤية معينة بيد أن جملة الخطابات تتضافر لتشكيل صورة لأنموذج كامل يكشف عن بنية التصور الجمالي لدى الإنسان العربي . إن هذه الخطابات تبرز زاوية خاصة من زوايا تفكير المرأة العربية واهتمامها وهي زاوية الزواج ، كما تكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية المحددة بفعل التعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية إذ تظل المرأة في مساحة الانتظار " لفارس الأحلام ، وتحت قلق الانتظار تعمد إلى رسم صورة خيالية ذهنية قابلة للتحليل والتخييل .

د - الرفض

يعد الرفض من أهم مضامين الخطاب النسوي في كتاب الأمالي ولا غرابة فـ" الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه كما يقول البيركامو " [148] ولم تكن علاقة المرأة العربية بمجتمعها علاقة تصالح دائم وقبول للاستلاب بل صدعت المرأة – في خطابها – بكل ما يحفظ لها توازنها ، ويمنحها ذاتها ، وحينما تختل العلاقات الاجتماعية يبدأ صراع المواقع إذ يبحث كل فرد أو كل فئة اجتماعية عن سبل تعزيز موقعه، ولم تكن المرأة العربية حبيسة الصمت إذ يكشف خطابها عن ممارسة الرفض أمام عوامل القمع والمصادرة لاستحقاقها المشروع ، وتشتغل بنية الرفض في متن الخطاب النسوي على مستويين هما المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي ومن أبرز القضايا التي مارست فيها المرأة رفضها قضية المنع من الزواج نجد ذلك في الخطابات الآتية :- حديث

البنات الثلاث مع أبيهن وكان قد عضلهن ومنعهن الأكفاء [149] فقالت إحداهن إن أقام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا فينبغي لنا أن نعرض له ما في نفوسنا ، ودخل على الكبرى فحين أراد الانصراف أنشدت :

أيزجر لاهينا ونلحى على الصبا وما نحن والفتيان إلا شقائق

يؤبن حبيبات مراراً كثيرة وتنباق أحياناً بهن البوائق

فلما سمع الشعر ساءه ، ثم دخل على الوسطى فتحادثا فلما أراد الانصراف أنشدت:

ألا أيها الفتيان إن فتاتكم دهاها سماع العاشقين فحنّت

فدونكم ابغوها فتى غير زامل وإلا صبت تلك الفتاة وجنت

فلما سمع شعرها دخل على الصغرى في يومها فتحادثا فلما أراد الانصراف أنشدت :

أما كان فى ثنتين ما يزع الفتى ويعقل هذا الشيط إن كان يعقلُ

فما هو إلا الحل أو طلب الصبا ولابد منه فأتمر كيف تفعلُ

فالخطاب يكشف عن الرفض الذي " يعد أسلوباً دفاعياً يدل على مواجهة الواقع وليس الهروب منه " [150] .

إن المرأة تواجه السلطة الأبوية وهي سلطة صلدة تكتسب سلطانها من طبيعة المواضعات الاجتماعية التي تتحكم في توجيه السلوك ، وهي سلطة تتمنع على الاختراق ولذلك نلحظ أن الخطاب لم يكن من مخاطبة واحدة بل من " ثلاث بنات " ثلاث مخاطبات في آن فضلاً عن أن الخطاب يتدرج في الرفض من التلميح إلى التصريح حتى تذعن السلطة الأبوية وتستسلم لسلطة البيان " والله لا أمسي حتى أزوجكن " إن المرأة هنا تقاوم باللغة والخيال عوامل الاستلاب ،إنها شهرزاد التي تتسلح بالفن لمقاومة الموت "إن مهمة الرفض تكمن في إرادة التغيير وليس استجداء الراحة والسلام " [151] كما أن الخطابات تنزع نحو تعرية الواقع الاجتماعي ، وعدم المصالحة معه طالما أنه يكرس ظلماً يحيق بالمرأة ولا يمنحها حقها المشروع في الزواج ، كما يكشف الخطاب عن استمرار هيمنة التقاليد العربية من ناحية ومحاولة المرأة تجاوز أنماط هذه التقاليد وإصرارها على ممارسة حقها في اختيار زوجها ومن

ذلك ما اشترطته هند على أبيها قبل أن يزوجها من أبي سفيان وهذا الخطاب يكشف عن علاقة إيجابية بين المخاطبة والمخاطب بين البنت والأب، يسودها نوع من الحرية واحترام إرادة الأنثى وتلبية شروطها في اختيار زوجها وهي علاقة تبدو مباينة لما علق بصورة الإنسان العربي من استبداد وهيمنة ذكورية على المرأة ومصادرة صوتها، ومن ناحية أخرى يكشف النص عن أنموذج إيجابي للمرأة القادرة على الاختيار والتمييز والانتقاء .

ويعضد خطاب الخنساء لأخيها معاوية – حين أراد أن يزوجها من دريد بن الصمة مضمون الرفض إذ تقول : [152]

لَـئن لَـم أُوتَ مـن نَفسى نَـصيباً لقَـد أَودى الزَمـانُ إذاً بـصَخر
أَتُكـرهنِى هُبلـتَ علـى دُرَيـد وَقَـد أُحرمـتَ سَـيِّدَ آل بَـدر
مَعـاذَ اللـه (يَـنكَحُنى) حَبَركـى قَـصيرُ الـشعر مـن جُـشَمَ بـن بكـر

فالخنساء تصرُّ على موقفها وترفض الزواج من دريد لأنه حبركى: قصير الرجلين طويل الظهر فضلاً عن أنه قصير الشعر:أي قليل الخير والعطاء ، ونسباً هو من جشم بن بكر ، وهذه في نظرها تعد قوادح تشفع لها أمام أخيها في أن تتنصل من خفض جناح الطاعة له. ويقدم لنا خطاب زوجة أبي الأسود أمام زياد لوناً آخر من ألوان الرفض ، حيث تشبثت بحقها في حضانة ولدها ، وترافعت مع زوجها أمام زياد بن أبيه حتى تمكنت من انتزاع حكم يقضي بإلحاق الولد بها "فهي تجادل في سيادة الأمومة على الأبوة بعد أن فقدت فرصة الحياة المشتركة مع زوجها فهي تسعى لوصل ما انقطع " [153] . وكان خطاب امرأة من العرب لزوجها – الذي كان يحضر موائد الحجاج ويتركها في أسوأ حال – خطاباً مفعماً بالرفض والسخط لوضع أليم تتجرع غصصه فحطمت أسوار الصمت ،وبعثت كتاب توبيخ ساخرٍ رافض . لكن خطاب الشجاء الخارجية [154] يعد خطاباً يتيماً بين الخطابات النسوية للأمالي الذي يجسد ممارسة المرأة للرفض السياسي والإفصاح عن موقف معارض للسلطة السياسية المهيمنة .

ويمكن القول: إن الخطاب النسوي يقدم الوجه الغائب للمرأة العربية ، إذ يكشف عن حجم حضورها وإثباتها ذاتها في ميادين حياتها ، بل وممارستها للرفض أمام

أي قوة مصادرة لحقها في الزواج أو في اختيار الزوج ، أو في المطالبة باستحقاقها المشروعة ، أو بممارسة قناعاتها السياسية والتعبير عن رأيها بحرية وإسهامها في تشكيل الوعي السياسي، بيد أن رفضها لمظاهر عضلها "عن الزواج " استأثر باهتمام خطابها الذي استطاع أن يحقق لها رغائبها وينتصر لمطالبها .

هـ - الرثـــاء : الرثاء غرض من أغراض الشعر العربي الأثيرة ، يعني التفجع على الميت وإبداء الحزن على فراقه وتصوير الخسارة التي نجمت عن فقده [155] ويتفرد بصدق العواطف وحرارة الانفعال، وقد سئل الأصمعي : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال : (لأنا نقولها وقلوبنا محترقة) " فهو أصدق فنون الشعر لغة وأقربها إلى الحقيقة الشعرية ، والرثاء فضلاً عن أنه بكاء وتفجع وذكر لمزايا المرثي فهو سانحة للتأمل في الحياة والموت والاستعبار "[156] ، ولم يقتصر هذا الغرض على الشعراء فحسب بل حفظت المظان التراثية العربية قدراً كبيراً من الرثائيات التي أبدعتها قرائح شواعر رسمن ما يعتلج في أعماقهن من حسرات لما يحيق بهن من موت حبيب أو فقدان قريب ولعل كتاب الأمالي يؤكد قدر حضور هذا الغرض في الخطاب النسوي الذي ما فتئ يرسم لوحات باكية مثيرة للشجن منها مرثية أم عمرو أخت ربيعة بن مكدم ترثي أخاها ربيعة إذ قتلته بنو سليم التي تقول فيها: [157]

ما بال عينيك منها الدمع مهراق سحاً فلا عازب عنها ولا راقي
أبكي على هالك أودى فأوردني بعد التفرق حزناً حره باقي

ونلحظ في هذه المرثية وقع الفاجعة على فقيد عزت في نجاته كل وسيلة فأسلم أم عمرو لحزن سرمدي لا تجف دمعه ولا يخمد ناره ، وتتجسد العاطفة الصادقة في معجم الخطاب " الدمع ، مهراق ، سح ، حزن ، حره باق ، وجد ، أبكيك ،عبرة ... " فهو معجم يسيح في دمع الفجيعة ، فضلاً عن الصور " أورثني حزناً " سهام المنايا " عبرى مفجعة ... " التي تكثف البعد النفسي لأم عمرو ، التي يكشف خطابها عن ذاتية خالصة متواترة يعززها ضمير المخاطبة الذي فرض حضوره حتى البيت الأخير ومن المراثي مرثاة الخنساء في أخيها صخرٍ [158]

إذ تقطر لوعة وحرقة على أخيها ، بيد أن خطابها عمد إلى استحضار المناقب التي تسم الفقيد ، من كرم وتجده ووطأة الرزية لأنها تؤكد خلود المرثي فإن مات جسداً فلم يمت قيمةً، كما تؤكد أن المصيبة مصيبة قومها وعشيرتها إذ بموته يخسرون رقماً صحيحاً في سجل القبيلة ، وفي مضمار القيم النبيلة ، وفي هذا السياق نجد مرثية زينب بنت الطثرية في أخيها يزيد إذ تقول فيها : (159)

أَرى الأثْلَ مِن وادي العقيقِ مُجاوري مُقيماً وَقَد غالَت يزيدَ غَوائلُه

وتظل تتثال مفردات المنظومة الأخلاقية العربية في ستة عشر بيتاً انثيالاً ينم عن تمرد خفي على الاستسلام ، ونفي للغياب عن طريق تسجيل هذا الحضور المعنوي بيد أن الخطاب يبتعد عن الذاتية كلما أوغل في رسم السجايا الأخلاقية وعلاقة المرثي بعالم المجتمع ، فتغلب على الخطاب التقريرية الوصفية .

ولم تقتصر المراثي على رثاء الأخوة بل إن هناك مراثي للأزواج والمعشوقين ، تقول فاطمة بنت الأحجم الخزاعية : (160)

قد كنت لي ظلاً ألوذ بظله فتركتني أضحى بأجرد ضاحى
قد كنت ذات حمية ما عشت لي أمشي البراز وكنت أنت جناحى
فاليوم أخضع للذليل وأتقي منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قمرية شجناً لها يوماً على فنن دعوت صباح
وأغض من بصري وأعلم أنه قد بان حد فوارسي ورماحي

وهذا الخطاب يستحضر صورة الماضي الجميل ، ويقارن بينه وبين الحاضر البائس ، لامرأة مهيضة الجناح بموت إلفها ، كما يجسد وفاءها له مما جعل عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام . (161)

وفي هذا السياق تقول الأخيلية في توبة الخفاجي (162)

لتَبْكِ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةَ نِسْوَةٌ بِماءِ شُؤُون العَبْرَةِ المتَحَدِّر
كأنَّ فَتَى الفتْيانِ تَوْبَةَ لَمْ يَنطْ قَلائِصَ يَفْحَصْنَ الحَصى بالكَراكِر

وربما كانت مرثية خويلة من بني رئام – المرثية الوحيدة بين المراثي التي لم يكن موضوعها فرداً بل مجموعاً – إذ استنجدت بمرضاوي بن سعوة المهري ابن أختها

حين قتل بنو ناعب وبنو داهن قومها بني رئام في يوم عرس لهم وهم سبعون رجلاً فأنشأت تقول : [163]

يـــا خـــير معتمـــد وأمنـــع ملجـــأ وأعـــز منـــتقم وأدرك طالـــب
جاءتـــك وافـــدة الثكـــالى تغتلـــى بـسوادها فـوق الفـضاء الناضـب

فطبيعة الخطاب في المرثية يباين الخطاب في المرثيات السوالف ، إذ إنها محكومة بطبيعة الموقف وحجم المصيبة ، فالقتلى سبعون أغير عليهم في يوم عرس لهم ، ولم تخترمهم أيادي القدر بصورة طبيعة ، وهذا يدفع بالخطاب لأن يستثير حمية المخاطب للأخذ بالثار وسرعة الانتقام ، وتؤازر الخطاب اللغوي لتحقيق هذا الهدف بعض الطقوس والإشارات السيميائية غير اللغوية ، مثل لبس السواد ، من قبل الثكلى إذ إن الإنسان العربي أسرع استجابة لاستفاثة المرأة لما يرتبط بها في الذاكرة العربية من دلالات تقتضي النصرة العجلى والتلبية السريعة.

إن خطاب المرأة في مراثيها يحمل ذاتيتها المفعمة بالحزن والألم ، ويجسد صدق انفعالاتها ، على الرغم من أنه مغموس في بنية ثقافية اجتماعية ، ينفذ مفعماً بمحمولاتها الدلالية ، إلا أنه يصطبغ بفرادة المشاعر الأنثوية وخصوصياتها فضلاً عن أن المرثية تشير من طرف خفي إلى رغبة المرأة في التملك،تملك المرثي لا بوصفه فرداً تربطها به وشائج قربى فحسب بل بوصفه قيمة اجتماعية وإنسانية وبذلك تحقق المرأة حضورها الواقعي عبر الخطاب اللغوي .

و- الجسد

حظي موضوع الجسد بحضور وافر في الخطاب النسوي في كتاب الأمالي مما يغري بتتبع تشكله في نسق الخطاب واكتناه أبعاده المختلفة حينما تتناول موضوع الجسد بوصفه مكوناً خطابياً معرفياً كما يتبدى في صورته المتمظهرة ، ففي حديث النسوة اللاتي أشرن على بنت الملك بالتزوج ووصفن لها محاسن الزوج [164] قالت إحداهن : الزوج عز في الشدائد وفي الخطوب مساعد إن غضبت لطف ، وإن مرضت لطف ، قالت : نعم الشيء هذا، فقالت الثانية: الزوج شعاري حين أصرد ، ومتكئي حين أرقد ، وأنسي حين أفرد ، فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش ، فقالت

الثالثة : الزوج لما عناني شاف ولما شفني شاف يكفيني فقد الألاف ، ريقه كالشهد ، وعناقه كالخلد ، لا يمل قرانه ، ولا يخاف حرانه .. "

وقد طلبت منهن أن يمهلنها للتفكير في الأمر، ثم أمرتهن أن يتفرقن في الأحياء لتأتي كل منهن لها بمن تحب : فجاءت إحداهن وقالت : قد أصبت البغية ، فقالت صفيه : ولا تسميه فقالت : غيث في المحل ، ثال في الأزل ، مفيد مبيد ، يصلح النائر وينعش العاثر ، ويغمر الندي، ويقتاد الأبي ، عرضه وافر، وحسبه باهر، غضّ الشباب طاهر الأثواب ... أما الثانية فقالت : مصامص النسب ، كريم الحسب ، كامل الأدب ، غزير العطايا ، مألوف السجايا ، مقتبل الشباب ، خصيب الجناب ، أمره ماض ، وعشيره راض ، قالت ومن هو؟ قالت : يعلى بن هزال .

ثم خلت بالثالثة فقالت: ما عندك ؟: قالت وجدته كثير الفوائد عظيم المرافد فاختارت يعلى بن هزال .

فالنموذج الجسدي المتمثل في هذا الخطاب يكشف عن نسق ثقافي واجتماعي لمفهوم المثال الذكوري الذي تنشده المرأة ، وعن المقومات الجمالية والأخلاقية في نظرة المرأة العربية فالزوج في نظر هذا المرأة : شعار حين البرد و متكأ في المنام ، ريقه كالشهد ، عناقه كالخلد ، لا يمل قرانه....

وهذه المواصفات الجسدية شكلت إغراء للمخاطَبة ونقلتها من حالة السكون السلبي (ما الزوج ؟) إلى حالة الحركة ، المتمثلة في الرغبة والاشتهاء " إن هذا لمن كمال طيب العيش " ومفردة " الكمال " توحي لنا بتواشج الأنموذج الجسدي مع الأنموذج الاجتماعي " عز في الشدائد ، في الخطوب مساعد "

فالمخاطِبة - أو المخاطبات - تقدم صورة بلاغية للجسد مقابل الصورة الواقعية بحيث يغدو الجسد ممتلكاً في الخطاب ومقبولاً في لغته ، ولأن المقام مقام إقناع وتحويل في قناعات ابنة الملك بغية " إتمام الملك " كان تكثيف الخطاب لمواصفات الزوج الأمثل وتكريس المواصفات الجسدية على وجه الخصوص ولذلك وقع اختيارها على من توافرت فيه المواصفات الأخلاقية والمواصفات الجسدية على السواء لا على من توفرت فيه المواصفات الأخلاقية فحسب .

" فالمرأة الواصفة تجعل من الجسد الموصوف صورة ذهنية قابلة للتحليل اللغوي والتخييل إذ نجد ترابط المتعة والشهوة بالنموذج الجمالي واضحة فهي تؤسس للحظة الجسدية المرتقبة ولو على مستوى المتخيل " [165] .

ولذا جنح الخطاب إلى الإفصاح عن جوانب تلك المتعة " ريقه كالشهد ،عناقه كالخلد ، لا يمل قرانه ، ولا يخاف حرانه .

وحينما اختارت الملكة ، يعلى بن هزال تزوجته فاحتجبت عن نسائها شهراً ثم برزت لهن وأجزلت لهن الحباء .

وهنا نجد أن مساحة صمت الخطاب عما يتصل" بأنماط الحظر على الجنس" كما يسميها فوكو[166] وإذا كانت مواصفات الجسد المتخيل قد تحققت على المستوى الواقعي في شخصية يعلى بن هزال- بحسب الخطاب- فإننا نجد مواصفات مثالية لجسد من صنع مخيلة البنات اللاتي وصفن ما يحبن من أزواج [167] : قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها صفن ما تحبين من أزواج ، فأخذت كل من البنات الثلاث تصوغ صورة متخيلة لجسد مكتمل من وجهة نظرها ، " وهذا الأنموذج الجمالي لا ينفصل عن القصدية النابعة من الذات التي تسنح معنى جديداً لموضوعها " [168]وتسمها برغبتها الدفينة والمعلنة والخطابية والصامتة وكان هذا الأنموذج الجسدي أكثر تبلوراً في رؤية البنت الصغرى : التي يأسر رؤيتها – بحكم مرحلتها العمرية – الجسد بما يمتلكه من المتعة والشهوة ، أكثر من غيرها .

وربما كان خطاب ابنة الخس أكثر احتفاء بموضوع الجسد إذ أتى رجل ابنة الخس يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت [169] : انظر رمكاء جسيمة ، أو بيضاء وسيمة في بيت جد، أو بيت عز، قال : ما تركت من النساء شيئاً قالت : بلى شر النساء تركت السويداء الممراض ، والحميراء المحياض ، الكثيرة المظلظ".

قيل فأي النساء أفضل ؟ قالت : التي إذا مشت أغيرت ، وإذا نطقت صرصرت ، متوركة جارية ، في بطنها جارية ، تتبعها جارية .

فابنة الخس تتقمص في منطقها "وجهة النظر الذكورية وتأخذ موقع المتلقى وتوقعاته وتستبدل بعينها الواصفة عين رجولته وتستخدم بلاغة رجولية سائدة في الذائقة العربية مما يدل على تجذر النموذج البلاغي في الوعي الثقافي العام "[170].

ويحيل خطابها إلى رصيد لغوي يمكن المخاطبة من ممارسة عملية تصنيفية للجسد الأنثوي وتعين ملامح الجمال الذي بحث عنه المخاطب . كما أن هذه المواصفات الجسدية المتوالية في ثنايا الخطاب لا تنفصم عن المواصفات الخلقية وكلها تنطلق من مشكاة واحدة تنتظمها رؤية المجتمع العربي لحظة إنتاج الخطاب للمنظومة الجمالية ، ومعايير القبح والجمال المهيمنة عليها .

وقد يقتضي مقام الخطاب كشف المرأة عن أستار لغة الجسد ونزع لباس الحشمة عنها ، بالتعبير عن القبلة : كما في خطاب جارية الرشيد [171] إذ تقول :

" أشار إليّ عبد الله كأنه يقبلني، فأنكرت ذلك "حيث أصبحت حركة الجسد تشكل لغة ما ، كما أن خطاب أم ضيغم البلوية يفصح عن عملية المضاجعة وارتشاف القبل تقول [172] :

وباتَ يَقبِنا ساقطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى مِنَ اللَّيلِ بُردا يَمَنَة عَطِران
وَنَصدُرُ عَن أمرِ العَفافِ وربَّما نَقَعنا غَلِيلَ الحُبِّ بالرَّشَفانِ

أو تلك البنت الصغرى التي تخاطب أباها وقد تغاضى عن فهم تلميحات أختيها : [173]

أهمام بن مرة إن همى إلى عرد أسد به مبالى ...

وهي خطابات تنفذ إلى دلالات الجسد في دائرة الغريزة الجنسية ، حيث ينفلت الخطاب إلى هذا الموقع مخترقاً السائد الثقافي وسلطة المنع من قول الحقيقة فيما يتصل بها .

بيد أن جمهور الخطابات النسوية في مضمار الجسد تتبنى رؤية الثقافية العربية ونمتزج فيها صورة الجسد الخيالية التي ترتسم في لغة الخطاب مع الصورة الواقعية من ناحية وتتأثر طبيعة هذه الخطابات بمقصدية المخاطبة وموقعها من المخاطَب من ناحية أخرى، كما تحدد هذه الخطابات موقع المرأة العربية في علاقتها الجدلية مع مجتمعها وتقدم همومها ، وخصوصية معاناتها في هذه الزاوية ، وتكشف عن محاولة تجاوز لدى المرأة العربية في مغامرتها في توظيف مفردات الجسد ، للتعبير عن رغبتها في تحقيق ذاتها .

الخاتمة

تكشف الدراسة عن عدد من النتائج التي يمكن تلخيصها فيما يأتي :

- تمكنت المرأة العربية من تحقيق حضور فاعل في مجمل أنشطتها الحياتية ، وأفصحت خطاباتها التي زادت عن ستين خطاباً – عن مدى ذلك الحضور الذي يبدد الصورة المرسومة للمرأة العربية التي تحصرها في نطاق هامشي ضيق ، كما تدل الوفرة الكمية للخطابات حجم المذخور الثقافي الإبداعي الذي أنجزته المرأة العربية – ولا سيما في مؤلف ذكوري أو رجولي – ويكشف عن حفاوة العلماء الأدباء بأدب المرأة ، ومدى علاقة الرجل المثقف بالمرأة المبدعة .
- أن الخطاب النسوي في كتاب الأمالي للقالي تميز بالتنوع والشمول إذ تنوع من حيث الجنس الأدبي بين الشعر والنثر ، ومن حيث الفضاء النصي بين مقطوعات قصيرة أو سطور معدودة وبين القصائد أو النصوص الطويلة .
- أن المخاطِبة في الخطابات النسوية برزت في أشكال متعددة ضمن نسيج علاقتها الاجتماعية فقد وردت أماً وأختاً وزوجة وبنتاً وعاشقة وجارية وملكة وكاهنة. . وفي كل شكل من هذه الأشكال تتشعب زوايا خطابها ، وتتعدد تمظهراته دون أن تلزم حالة واحدة ، مما يؤكد استيعابها لتفاصيل الخارطة الاجتماعية،وملامسة خطابها لألوان من المواقف وامشاج من المواقع فيكتسب حيوية وثراء .
- أن المخاطبة وهي تبني خطابها قد انطلقت من رؤى متعددة يمكن أن نحصرها في رؤيتين متعارضتين : رؤية منتمية لعالم المخاطبة وذاتها ، ورؤية منتمية إلى الآخر، وكل منهما تتحكم بصياغة خطاب يتواءم وطبيعة الرؤية.
- أن " لغة الخطاب " تشكلت في أنساق متعددة ، وتمظهرت مصبوغة بجماليات أسلوبية ، تخضع لاعتبارات متعددة ومتواشجة في الآن ذاته، منها نفسية المخاطبة وحالتها الذهنية ، وطبيعة علاقتها بموضوعها ومنها ما يتعلق بالمخاطب ومنها يتعلق بسياق الخطاب ، وكلها تتضافر في صياغة لغة الخطاب ينصهر في طوايا الذات المبدعة ، لتفرزه محملاً بمزيج من تلك المؤشرات .
- كشفت الدراسة " أثر النوع " في تشكيل الخطاب النسوي ، وملمح الجنوسة من خلال إبراز مكامن الخصوصية " الكاشفة عن تفاصيل علاقتها بمن حولها " وهذه الموضوعات يستقطبها محوران هما : البحث عن الذات ، الدور الاجتماعي .
- تمكنت الدراسة من سبر أغوار الخطاب النسوي ، وكشف الوجه الآخر للمرأة العربية وهي تلح في البحث عن موقع يحفظ لها كينونتها وتفرد شخصيتها ، ويمكنها من تجاوز الصمت وأداء دورها في تعرية نواقص الواقع الاجتماعي والنفسي والأخلاقي والسياسي .
- كشفت الدراسة أهمية الأدب شعراً ونثراً للمرأة العربية فهو متنفسها في البوح عن خلجات نفسها ، ووسيلتها في التعبير والتغيير، بل هو عصاها السحرية التي بها تخترق أسوار التقاليد الصلبة ، وتنفذ به إلى القلوب الصلدة، فضلاً عن أنه تخسد البديل الناجح لكل وسائل التفوق، وآليات الانتصار، إذ إنها بالأدب وفي الأدب تمكنت من تحقيق الموقع الذي تطمح إليه.
- تمكنت الدراسة من تقديم صورة إيجابية للمرأة العربية – من خلال استقراء خطاباتها مما يسهم بإعادة رسم الصورة الحقيقية للمرأة كما تتجلى في الذاكرة العربية – بعيداً عن التشوهات التي لحقت بها عبر الحقب التاريخية .
- تسهم هذه الدراسة في رفد الجهود النقدية ،في مجال النقد النسوي، ومؤازرة الأطروحات التي تهدف إلى الانتصار للمرأة العربية ، لتتبوأ موقعها الأنسب في حركة الحياة المعاصرة .

الهوامش

1. المرأة والرجل في قصص فاتحة يوسف العلي ص594.
2. المرأة بين الميثيولوجيا والحداثة ص5.
3. نفسه ص5 .
4. مقدمة ابن خلدون ص553 .
5. لسان العرب مادة : (خ ط ب) .
6. خطابية النص ونصوصية الخطاب ص3.
7. الخصائص ص 73،74.
8. تحليل الخطاب الروائي ص33.
9. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشل فوكو ص ص89،90.
10. معجم المصطلحات الأدبية ص ص 21و25.
11. تحليل الخطاب الروائي ص23.
12. نفسه ص19.
13. أصول الخطاب النقدي ، علاقة اللغة بالأدب ، ص39.
14. تحليل الخطاب الروائي ص23.
15. نفسه ص25.
16. الموسوعة الفلسفية ، ص771.
17. النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير ص56 .
18. تحليل الخطاب الروائي ص44.
19. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشل فوكو ص91.
20. كما يشير إلى ذلك الزواوي في مفهوم الخطاب ص93 وعناني في المصطلحات الأدبية ص187 وما بعدها .
21. لسان العرب ، مادة : (نسا)
22. أنثوية العلم ص11.
23. نفسه ص14 .
24. الحداثة وما بعد الحداثة ، ص ص328 ، 329.
25. نفسه 325.
26. المصطلحات الأدبية ص ص187، 188.
27. النقد الأدبي الأمريكي ص ص 318، 319.
28. نفسه ص327.
29. الحداثة وما بعد الحداثة ص323.
30. النقد الأدبي الأمريكي ص317.
31. نفسه ص321 .
32. نفسه ص321 .
33. الأمالي 1 ، 222 .
34. نفسه 2 ، 95 .
35. نفسه 2 ، 79 .

36. نفســه 2 ، 116.
37. نفســه 2 ، 116.
38. نفســه 2 ، 117.
39. ذيل الأمالي ، 23.
40. نفســه 86.
41. الأمالي 2، 85.
42. نفسه 2 ، 161.
43. نفسه 2،163 .
44. نفسه 2، 323.
45. ذيل الأمالي 12.
46. الامالي 1 ، 104.
47. نفســه 1 ، 221.
48. نفســه 2 ، 12.
49. نفســه 2 ، 231.
50. نفســه 2 ، 86.
51. نفســه 2، 136.
52. نفســه 2، 173.
53. نفســه 2، 181.
54. ذيل الأمالي 150 .
55. الأمالي 1 ، 222 .
56. نفسه 1 ، 48 .
57. نفســه1 ، 187.
58. نفســه 2 ، 104.
59. نفســه 2 ، 105 .
60. نفســه 2 ، 106 .
61. نفســه 2 ، 219.
62. ذيل الأمالي ص23.
63. نفســه ص70.
64. نفســه ص87.
65. الأمالي 1 ، 29 .
66. نفســه 1 ، 55.
67. نفســه 1، 86.
68. نفســه 1، 202.
69. نفســه 1، 224.
70. نفســه 2، أ و2.
71. نفســه 2 ، 10.
72. نفســه2 ، 25.
107. نفســه1 ، 104 .
108. نفســه 1 ، 126.
109. نفســه 1 ، 80 .
110. الكتابة والتجربة ص62.
111. الأمالي 2 ، 256 .
112. الأمالي 1 ، 225 .
113. نفســه 2 ، 21 .
114. نفســه 1 ، 187.
115. الحداثة والتواصل في الفلسفة المعاصرة ص225.
116. الخصائص ، ص 87 .
117. سيكلوجية الإبداع ، ص ص 39و 41.
118. الأمالي 2 ، 136.
119. المصطلحات العربية في اللغة والأدب 117.
120. اللغة الشعرية ص122.
121. التلقي والتأويل ص 149 .
122. الأمالي 2 ، 79 .
123. نفســه 1 ، 80 .
124. نفســه 1، 104.
125. نفســه 2 ، 12 .
126. نفســه 1 ، 79 .
127. نفســه 2 ، 104 .
128. ذيل الأمالي 196.
129. الأمالي 1 ، 86 – 89 .
130. نفســه 1 ، 126 .
131. نفســه 2 ، 21 و 22 .
132. نفســه 1 ، 161 .
133. الأمالي 2 ، 87 .
134. نفســه 2 ، 83 .
135. نفســه 2 ، 83 .
136. نفســه 1،199
137. نفســه 2 ، 21 و 22 .
138. نفســه 1 ، 86 .
139. نفســه 2 ، 79 .
140. نفســه 2 ، 12 .
141. نفســه 2 ، 116.
142. نفســه 2 ، 116.

73. نفسه 2 ، 25.
74. نفسه 2 ، 25.
75. نفسه 2 ، 30 و 31.
76. نفسه 2، 83 .
77. نفسه 2 ، 73 .
78. نفسه 2 ، 87.
79. نفسه 2 ، 287.
80. نفسه 2 ، 293.
81. ذيل الأمالي 70.
82. نفسه 95.
83. نفسه 87.
84. الشعر والشعراء 1 ، 74 و 75 .
85. الأمالي 1 ، 80.
86. نفسه 1 ، 225.
87. نفسه 2، 21 و 22 .
88. ذيل الأمالي 87.
89. الأمالي 1 ، 126.
90. نفسه 1 ، 80 .
91. ذيل الأمالي 196.
92. الأمالي 1 ، 206 .
93. نفسه 1 ، 161.
94. نفسه 2 ، 6 .
95. نفسه 2 ، 49 .
96. نفسه 2 ، 60 .
97. نفسه 2 ، 256 .
98. ذيل الأمالي 109.
99. نفسه 168 .
100. نفسه 197.
101. الراوي الموقع والشكل ص26.
102. ذيل الأمالي 196.
103. الأمالي 1 ، 12.
104. نفسه 2 ، 104.
105. نفسه 2، 105.
106. نفسه 1 ، 80 .
143. نفسه 2 ، 117.
144. نفسه 1 ، 80 .
145. نفسه 2 ، 161.
146. نفسه 1 ، 48 .
147. البنيات الدالة في شعر أمل دنقل ص239.
148. الأمالي 2 ، 105.
149. استراتيجيات القراءة : التأصيل والأجراء النقدي ص136.
150. زمن الشعر ص161.
151. الأمالي 2 ، 161.
152. بلاغة المجادلة ص56 .
153. ذيل الأمالي 196.
154. شعر الرثاء في العصر الجاهلي ص7 .
155. الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب ص411 .
156. ذيل الأمالي 12.
157. الأمالي 2 ، 163.
158. نفسه 2 ، 85 .
159. الأمالي 2، 1 و 2 .
160. نفسه 2،2.
161. نفسه 1 ، 86 .
162. نفسه 1، 126 .
163. نفسه 1 ، 80 .
164. الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ص34وص89.
165. إرادة المعرفة ص10.
166. الأمالي 1 ، 48 .
167. الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ص89.
168. ذيل الأمالي ص256 .
169. الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ص75 .
170. الأمالي 1 ، 225 .
171. نفسه 2 ، 83 .
172. نفسه 2 ، 106 .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

1- الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب ، عبد الإله الصائغ ، دار الفكر ، صنعاء ، ط1 ، 2000م .

2- إرادة المعرفة ، ميشيل فوكو، تر . جورج أبي صالح ، مراجعة وتقديم مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990م .

3- استراتيجيات القراءة : التأصيل والإجراء ، بسام قطوس ، مؤسسة حمادة ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 1988م .

4- أصول الخطاب النقدي ، تودوروف ، تر. أحمد المديني ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1987م .

5- الأمالي ، أبو علي القالي ، تقديم محمد عبد الجواد الأصمعي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1987م .

6- أنثوية العلم ، لندى جيم شيفرد ، تر . يمنى الخولي ، عالم المعرفة الكويتية،عدد : 306 ، 2004م.

7- البنيات الدالة في شعر أمل دنقل ، عبد السلام المساوى ، اتحاد الأباء والكتاب العرب ، دمشق ، 1994م .

8- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1988م .

9- التلقي والتأويل : مقاربة نسقية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت،الدار البيضاء ، ط1 ، 1994م .

10- الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، فريد الزاهي ، أفريقيا الشرق ، 1999م .

11- الحداثة والتواصل في الفلسفة المعاصرة ، نموذج هابر ماس ، محمد نور الدين أفاية ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، 1998م .

12- الحداثة وما بعد الحداثة ، بيتر بروكر ، تر . عبد الوهاب علوب ، مراجعة جابر عصفور ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1995م .

13- الخصائص ، ابن جني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2001م .

14- خطابية النص ونصوصية الخطاب ، عبد الواسع الحميري (بحث غير منشور)

15- الراوي : الموقع والشكل ، يمنى العيد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ، 1986م .

16- زمن الشعر ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1978م .

17- سيكلوجية الإبداع ، يوسف ميخائيل أسعد ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط2 ، 1984م .

18- شعر الرثاء في العصر الجاهلي : دراسة فنية ، مصطفى عبد الشافي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983م .

19- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1961م .

20- الكتابة والتجربة ، عبد الكبير الخطيبي ، تر ز محمد برادة ، دار العودة ، بيروت ، ط1980،1م .
21- لسان العرب ، ابن منظور ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، دار الجيل ، بيروت ، (د . ط) .
22- اللغة الشعرية : دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1997م .
23- المرأة بين الميثلوجيا والحداثة ، خديجة صبار ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1999م .
24- مصادر التراث العربي ، عمر الدقاق ، مكتبة دار الشروق ، بيروت ، (د . ط) .
25- المصطلحات الأدبية الحديثة ، محمد عناني ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، 1986م .
26- المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1974م
27- مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1986م .
28- الموسوعة الفلسفية العربية ، علي حرب ، معهد الإنماء العربي ، ط1 ، بيروت ، 1986م .
29- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، الزواوي بغورة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000م .
30- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات ، فنسينت ب.ليتش ، تر . محمد يحيى ، مراجعة ماهر شفيق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000م .
31- النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير ، عبد الإله الصائغ ، دار الفكر ، صنعاء ، دمشق ، ط1 ،

ثانياً : المجلات والدوريات :

1- جذور التراث ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ع 19 ، شتاء 1989م .
2- علامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ع14 ، مجلد 53 ، 2004م .
3- العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، لبنان ، ع5 ، شتاء 1989م .